دكتور
عبدالله سرور
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

فى أدب الأطفال



الطبعة الثالثة
٢٠٠٤

دكتور
عبدالله سرور
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

في أدب الأطفال

الطبعة الثالثة
٢٠٠٤

مطبعة الفاروق
المعادى الجديدة ش النصر رقم ٢٠
ت : ٥١٦٨٣٩١ - ٠١٠٥٠١٥٠١٥


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى الإشراقة الحلوة.. والغد الجميل..

الذين صنع آباؤهم مجدًا ظهر على الزمان..

وعليهم أن يضيفوا إليه..

تقديـــم

الأدب إبداع لغوى جميل، فهو فـن الكلمـة المصـورة الموحيـة التـى تتصل بالناس، فمادة الأدب فى كل صورة من صوره هى الحياة، بأفكارها ورؤاهـا وأحساسيسـها، مهمـا تعـددت الأنـواع الأدبيـة التـى يصـب فيهـا الكاتب ذوب نفسه.

وأدب الأطفال جزء من الأدب بمعناه العـام، وليـس منفصـلاً عنـه، ولذا فقد ظلمت هذا الأدب كتابات كثيرة أقحمت عليه، وليست منه فـى شيء، لأن ما يكتب للصغار ينبغى أن يكون أدبًا -بمعنى الكلمة- فى المقام الأول، ثم عليه أن يراعى المرحلة السنية التى يكتب لها.

ولقد طغى الجانب التربوى أو النفسى على الكتابة إلى الطفل حتـى أفسده، ولا يزال، ولذا كتب أستاذنا الدكتور "شكرى عياد" منذ أكثر من ربع قرن : «إن أدب الأطفال ليس عملاً تربويًا فحسب، ولكنه عمل فنى أيضًا، بل هو عمل فنى أولاً، وكم نشفق على الملايين من أطفالنا لأنهـم لم يجـدوا إلا القليـل مـن الأعمـال التربويـة، ولا يكـادون يجـدون شيئًا علـى الإطلاق من الأعمال الفنية»[1]. وما تزال قولته صالحة إلى يومنا هذا.

وكم كتب الأستاذ "عبد التواب يوسف" عن دهشة أدباء الأطفـال الذين يزورون بلادنا ويلتقون بمن يتحدثون معهـم عـن الأدب لمفهـوم هـذا الأدب عند كثير منهم[2].

---

[1] كتاب الأدب فى عالم متغير.

[2] راجع كتابه عن أدب الأطفال.

والحق إن الذين يغرقون فى الحديث عن الاعتبارات التربوية كشرط من شروط أدب الأطفال ينسون أنها اعتبارات عامة شأنها شأن أى اعتبارات أخرى : أخلاقية أو دينية، فالأصل أن يكون العمل المكتوب أدبًا وليس شيئًا آخر. وقد نسى هؤلاء أن أحمد شوقى والكيلانى كانا من الأدباء، ولم يكونا من التربويين أو المعلمين. وأن ذلك ينطبق على كثيرين كتبوا أدبًا للأطفال دون أن يدرسوا التربية، ومن قبل أن يظهر علم النفس الحديث.

ومخطئ من يظن الأدب وسيلة تعليمية، لكنه يمكن أن يحقق كثيرًا من الغايات -كما أشرنا- من بعد كونه أدبًا.

وبعد، فهذه خطوة على الطريق، لعلها تسهم فى بناء أدب جيد لأطفالنا.

د. عبد الله سرور

جامعة الإسكندرية

الأدب والطفل

الطفل فى اللغة :

زخرت لغتنا العربيـة بحشد كبير من الألفـاظ التى تصف حياة الإنسان منذ ولادته إلى كهولته، فوجدنا الصبى، والطفل، والغلام، والفتى، والشاب، والشيخ، والكهل، وغيرها. ولقد ميزت هذه الألفاظ مراحل تطور حياة الإنسان فى دقة بالغة وتحديد قاطع، رسّخ فى الوجدان العربى دلالات الألفاظ على نحو يبرز التباين بين مرحلة وأخرى، والفرق بين لفظة وما عداها من الألفاظ، فعند أجدادنا العرب نجد الفتوة توحى بالطيش، والغلام تنم عن بداية معاشرة الرجال، والشباب ترتبط بالقوة، والشيخوخة تتصل بالوقار، أما الكهولة فتشى بالهرم.

وتكاد لفظتا الطفل والصبى أن تترادفا فى اللغة، فقد ذكر صاحب لسان العرب : «يقال رأيته فى صباه أى فى صغره، والصبى من لدن يولد إلى أن يفطم»[1]. والصفل «الصغير من كل شىء. والصبى يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم»[2].

الطفل فى القرآن والسنة :

وردت لفظتا الطفل والصبى فى القرآن الكريم مرارًا، فقال تعالى

---

[1] لسان العرب مادة (صبا).

[2] المصدر السابق مادة (طفل).

فى سورة مريم : ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة * وآتيناه الحكم صبيا﴾[١] .

وقال عن عيسى عليه السلام : ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾[٢] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا﴾[٣] . وقال تعالى فى سورة غافر : ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا﴾[٤] . وقال تعالى فى سورة النور ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾[٥] .

ومن هذه الآيات الكريمة نجد تقاربًا شديدًا بين مفهومى لفظتى الطفل والصبى. وأن مفهوم لفظة الطفل يمتد ليشمل الفترة منذ أن يولد إلى أن يحتلم.

ويتفق مدلول الحديث النبوى مع معنى لفظة الطفل فى القرآن الكريم، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : «إذا بلغ أولادكم سبع سنين فمروهم بالطهارة والصلاة، وإذا بلغوا عشرا فاضربوهم عليها، وإذا بلغوا ثلاثة عشر ففرقوا بينهم فى المضاجع»[٦] ، فالنبى الكريم يوجه إلى أن

---

[١] سورة مريم الآية ١٢.

[٢] سورة مريم الآية ٢٩.

[٣] سورة الحج الآية ٥.

[٤] سورة غافر الآية ٦٧.

[٥] سورة النور الآية ٥٩.

[٦] محاضرات الأدباء، جـ ١، ص ٣٢٧.

السنين السبعة الأولى هى للرعاية والتدليل وبدء التكوين، ولذا فهى فترة التلقى الكبير منه، وهى أيضًا فترة عطاء كبير من الوالدين والدوائر المتعددة المحيطة مباشرة بالطفل، لتغذيته وبنائه فى شتى الجوانب. ولا يتحمل الطفل فيها المسئولية، بل هى فترة توجيه عام، وإنما يبدأ التوجيه المنظم والتعليم فى سن السابعة.

تعريف أدب الأطفال :

أدب الأطفال هو جملة النتاجات الأدبية التى يتم إبداعها خصيصًا للطفل فترضى حاجاته وخصائصه ومرحلته السنية. وتكون هذه النتاجات منطلقة من بيئة الطفل وتراث مجتمعه، كما أنها تكون مستهدفة أمانى المجتمع وطموحاته المستقبلية.

والنتاج الأدبى هو كل ما يستوفى خصائص الأدب وشرائطه، سواء من ناحية النزع الأدبى أو عناصر الأدب من لغة وعاطفة وخيال وذوق رفيع وغيرها، فيثير فينا بفضل خصائص صياغته إحساسات جمالية وانفعالات عاطفية.

وهكذا فإن أدب الأطفال هو ما نقدمه للطفل من إبداع لغوى يتسم بجمال اللفظ وسمو المعنى ونبل الفكرة، بهدف بنائه بناء قويمًا يجعله قادرًا على أداء رسالته فى الحياة ومسهمًا بفعالية فى تحقيق الأهداف الوطنية الكبرى.

وأدب الأطفال جزء لا ينفصل عن الأدب بمعناه العام، غير أنه ينحاز عنه بشرط لازم هو مناسبته لسن الطفل من حيث الجوانب الأخلاقية والفكرية ومدى خبرة الطفل بالأماكن والناس والأحداث، وقبل ذلك مدى معرفته باللغة.

والكلمة فى الأدب هى وسيلة التعبير الجميل التى تحقق ثراء الفكر ومتعة الوجدان، لكنها فى أدب الأطفال لا تحتل الصدارة وحدها، بل

تجاورها وسائل أخرى تشترك معها فى الغايات، مثل النغمة والرسم والصورة متحركة وثابتة، وقد تنفرد الوسيلة الأخيرة بكتب الطفل فى سنيه الأولى، فتصير الوسيلة الأثيرة لديه، والمناسبة لحمل بعض الأفكار التى يمكن أن تستثير عقله وتثرى وجدانه، فتحرك استجاباته للتلقى والمشاركة بإيجابية فيما حوله، وما يعرض عليه، إذ يعرض أدب الطفل عليه ما يشبع اهتماماته، ويرضى حاجاته، ويواكب نموه، ويحقق متطلباته، كما يعكس له مشكلاته الشخصية والسنية، ويعينه على استبصار الحلول لهذه المشكلات برفق وهواده، فيتغلب على ما يقلقه، أو يخفف من توتراته فى مواجهة المواقف المختلفة، كما يهيئ له فى يسر وسهولة فرص الاستمتاع بما فى الكون من عجب وجمال وجلال. ويتدرج ذلك حسب نمو الطفل العقلى، ومدى استعداده لتقبل المتغيرات، سواء كان هذا الأدب مرتبطًا بتجاربه الحسية وخبراته المباشرة، وما تقدمه له الحياة من الوقائع اليومية المألوفة فى بيئته، أو كان أدبًا يحاول الامتداد إلى ما وراء حدود الواقع دون أن يتجاوز المستوى المعرفى المألوف لإدراكاته، بغية تنمية خيال الطفل، أو كان أدبًا يعكس الجديد فى العالم ليستثير فى الطفل رؤية أبعاد جديدة لهذا العالم فيما يسمى أدب الخيال العلمى[1].

---

[1] راجع النص الأدبى للأطفال، د. سعد أبو الرضا، ص ٢٤.

أدب الطفل في التراث العربي :

حظى الأطفال باهتمام كبير في التراث العربي، وعلى الرغم من المحنة الكبرى التى مرت بأطفال العرب فى الجاهلية حين تعرضت البنات منهم للوأد، والأولاد للتنشئة الخشنة، والانفصال عن الوالدين بإرسالهم إلى الصحراء مع مرضعات من البدو منذ يومهم الثامن فى الحياة إلى أن يبلغوا الثامنة أو العاشرة، لينهلوا من حرية الصحراء وجوها، ويُعوّدوا على الاستقلال النفسى وخشونة الحياة والغلظة، على الرغم من ذلك فقد كان هؤلاء الصغار ينشأون بالقصص على مآثر قومهم، وتشحن عواطفهم بالأساطير الدينية، وتبث فيهم المرضعات والأمهات والجوارى تقاليدهم الاجتماعية، فيحكين لهم قصصًا عن الأسلاف والأمجاد وبطولات الفرسان فى الحروب والأيام والمعارك التى دارت بين قبيلتهم وأعدائها، ويفعمن قلوبهم الغضة بنشيد الإثارة، فيشبون عن الطوق وطنين الثأر يسدّ عليهم منافذ العقل والتفكير، ولكل صنم قصة، ولكل ساحر حكاية، ولكل كاهل حديث، تفتتن به قلوب الأطفال، ويبهرون بما يسمعون من خوارق، وما يبدو لهم كأنه معجزات، فيعظمون ويقدسون ويعبدون كما كان يعبد آباؤهم الأولون[1].

غير أن هذا الأدب لم يستأثر بما استأثر به أدب الكبار من الحفظ والرواية، بل تناقلته شفاه النساء والأطفال فى حدود ضيقة. وهكذا تُرك

---

[1] راجع على الحديدى. فى أدب الطفل، ص ٢١٩.

أدب الأطفال للذاكرة يتساقط منها مع الزمن، أو يضيع فى متاهات الصحراء فى عصور ما قبل الإسلام، ثم اختفت البقية الباقية منه بمشرق الإسلام.

ومنذ أواخر العصر الأموى ظهر الاهتمام بتدوين التراث الأدبى، و لم يهتم مدونوا الأدب بما كان يروى للأطفال من حكايات، و لم يسترع انتباههم سوى الأغنيات التى كان الكبار يرقّصون بها الأطفال. «وكان للعرب نصيب موفور من هذه المقطوعات الشعرية، اشتهرت فى أخبارهم وأثرت عنهم فى مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم، وكانوا يتخذون هذا الترقيص بالغناء وسيلة ترفيه وتسلية للطفل، وبجانب ذلك كانوا يتغون به غرس جميل الخصال وحميد الفعال فى ذهنه قبل أن يشتد عوده، ويكبر، وقد تمكنت منه الأخلاق ونقشت فى مخيلته الصفات، وانطبعت فى قلبه القدوة»[١].

ولقد كان الفتح الإسلامى سببًا فى دخول شعوب أجنبية بتراثها الضخم من القصص والأساطير والملاحم فى الحياة الجديدة، وأن تمتزج ثقافاتها بالثقافة العربية، «والتاريخ والقصص أول ألوان المعارف تداولاً بين الشعوب عند اتصالها، ثم تأتى بعد ذلك وفى مرحلة تالية ترجمة العلوم ونقل الفلسفات»[٢]. وكان أطفال العرب ذوى حظ واسع فى تلقى هذا التراث العظيم حيث كان يقوم على خدمتهم الرقيق الأجنبى المجلوب من

---

(١) د. أحمد عيسى، الغناء للأطفال عند العرب، ص ٣

(٢) فاروق خورشيد، فى الرواية العربية، ص ٧٩

البلاد المفتوحة، وكانوا كثرة كاثرة حتى إن المسعودى فى كتابه "مروج الذهب" روى أن الزبير بن العوام خلّف وحده ألف عبد وأمة[١]. فلم يكن هناك بيت يخلو من الأجنبيات جوارى أو زوجات.

وهكذا طفق الخيال العربى يستوعب التراث الضخم الوافد، فيفيد منه وينسج على منواله، خاصة وقد نشطت حركة الترجمة فأسهمت فى انطلاق الخيال العربى، ودليلنا على ذلك أنه بعد ترجمة كتاب "كليلج ودمنج" إلى العربية باسم "كليلة ودمنة" وكتاب "هزار أفسان" من الفارسية فكان نواة لكتاب "ألف ليلة وليلة" وجدنا حركة التأليف العربى يزدهر إبداعها، فألف سهل بن هارون كتابه "ثعلبة وعفراء"، وعلى بن داود "كتاب النمر والثعلب"[٢].

وكتب الشريف بن الهبارية كتاب "الصادح والباغم"[٣]، ومحمد بن قاسم بن أحمد كتابه "سلوان المطاع فى عدوان الأتباع"... إضافة إلى المقامات والرسائل والسير الشعبية.

ولا ريب فى أن قصص ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والمقامات، والرسائل، وقصة حى بن يقظان، والملاحم الشعبية، كانت منذ ظهورها مصدرًا من أغنى المصادر لأدب الأطفال يستمد منها خيالاته التى أمتعت الأجيال من أطفال العرب، وأغنت عواطفهم، وأثرت خيالهم بقصصها

---

[١] المسعودى، مروج الذهب، جـ ٤، ص ٢٥٤.

[٢] ابن النديم، الفهرست، ص ١١٨ - ١١٩.

[٣] د. عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان فى الأدب العربى، ص ١٣٧.

العظيم. لكن أدب الأطفال ظل محصورًا بين جدران المنازل والقصور لا يخرج عن محيط الطفل، ولا تخطه أقلام المدوّنين. وترفّع عن صوغه الأدباء خوفًا على مجدهم الأدبى وقد رأوا المهانة تنزل بمعلم الصبية حتى لم تعد تقبل شهادته عند بعض الفقهاء.

وهكذا ظل أدب الأطفال فى اللغة العربية تتناقله الشفاه، فيضيع منه الكثير ويضاف إليه الكثير، ومن ثم صار قبل عصرنا الحديث يدور فى فلك الأدب الشعبى[1].

وجملة القول إن المتتبع لتراثنا الأدبى يجده قد اشتمل على مادة غزيرة تتصل بالطفل، وأن هذه المادة قد تنوعت بتنوع الأهداف المبتغاة منها، فهناك أشعار قيلت فى ترقيص الأطفال ومناغاتهم، وأخرى عبرت عن حبهم والتعلق بهم، وثالثة اتصلت بالتمييز بين الولد والبنت، ورابعة تحدثت عن الوصايا لهم، وخامسة نقلت مشاعر القوم تجاه الأبناء وهم بعيدون عنهم، وسادسة تناولت ما يتمنى الأب أن يكون ابنه عليه، فنقل هذا لمعلمه، وأوصاه أن ينشّئه عليه ويزوده به[2].

---

[1] د. على الحديدى، فى أدب الأطفال، ص ٢٣٥.

[2] د. محمد جور، تربية الأبناء فى الأدب العربى، ص ٣٩.

أدب الطفل في العصر الحديث :

بدأ ظهور أدب الأطفال في العصر الحديث في زمن محمد علي باشا والي مصر الذي كان قد بعث رفاعة الطهطاوي مشرفًا على إحدى البعثات إلى فرنسا، فإذا به يتحول إلى طالب دارس يلفته كل جديد لم يكن له به علم، وهناك رأى كيف تتم العناية بالطفل عناية خاصة فعاد إلى مصر ليخط كتابه "المرشد الأمين في تربية البنات والبنين" ثم أصدر مجلة "روضة المدارس" للمعلمين والطلاب معًا، وكان أول من ترجم كتابًا للأطفال عن الإنجليزية باسم "حكايات الأطفال"، وأدخل بعض القصص في المناهج الدراسية[1]. كما كتب إلى وكيل الحكومة المصرية في لندن يطلب منه أن «يرسل كتبًا مطبوعة ومؤلفة للصغار والتلاميذ بحيث تميل أذهانهم إليها»[2].

وكتب محمد عثمان جلال (١٨٣٨ - ١٨٩٨) كتابه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" متأثرًا بأمثال لافونتين، لكنه أعطاها الصبغة العربية حين جعل كل مقطوعة تنتهي بحكمة أو مثل عربي أو قولة ذائعة، مثل حكاية "سيء البخت" :

سمعتُ عن رجلٍ أوْدَى به الزمنُ	ولم يجدْ مَنْ لـه في الناس يأتمنُ
وصَدَّهُ الحظ حتـــى صار مفتقرا	على الحجارة في الأسواق يرتكنُ

---

[1] [2] راجع : في أدب الأطفال، د. علي الحديدي، ص ٢٤٠، أدب الأطفال ومكتباتهم، سعيد أحمد حسن، ص ٣٥، وانظر تاريخ التعليم في عصر محمد علي، د. أحمد عزت عبد الكريم، ص ١٧٤.

ما باع إلا وكان السوق فى رخصٍ ولا اشــترى قطُّ إلا إن غلا الثمن

سمعته يشتكـى يوما فقلتُ له : تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن[1].

وكذلك كتب إبراهيـم العرب تسعًا وتسعين قصة شعرية على لسان الحيوانات فى كتاب (خرافات على لسان الحيوان) أسماه "آداب العرب".

وكتب على فكرى كتاب "مسامرات البنات" عام ١٩٠٣ وهو كتاب فى أدب الأطفال موجه إلى البنات خاصة، لكنه كتب عام ١٩١٦ كتاب "النصح المبين فى محفوظات البنين" وضم كثيرًا من الحكم النثرية والنظمية والأناشيد له ولأدباء عصره مثل شوقى والرافعى واليازجى، ومن أمثلة ذلك أنشودة بعنوان (فى طاعة الله والوالدين) يقول فيها :

أطِعْ الإلـــه كمـا أمَر وامـلأْ فؤادكَ بالحذَرْ

وأطـــعْ أباكَ لأنَّـــهُ ربَّاك من عَهْدِ الصّغر

واخضَعْ لأمِّكَ وارضها فعقوقُها إحدى الكبر

فـــإذا مرضْتَ فإنها تبكى بدمع كالمطر[2]

وفى عام ١٩١٤ ترجم أمين خيرت (كنوز سليمان) للكاتب الإنجليزى رايدر هاجرد وقررته وزارة المعارف على تلاميذ المدارس. لكن الخطوة الكبيرة فى كتابه أدب الأطفال فى العالم العربى الحديث كانت

---

[1] العيون اليواقظ، ص ٣٠٦.

[2] راجع فى أدب الأطفال، د. على الحديدى، ص ٢٥٨.

على يد الشاعر المبدع أحمد شوقي لأنه أول من ألف أدبا للأطفال باللغة العربية، وأفاد مما كتبه للأطفال من قراءاته في الأدب الفرنسي، فكتب أكثر من خمسين قصة شعرية للأطفال، ونظم أكثر من عشرة أناشيد اتسمت كلها بسهولة الأسلوب، وتسلسل الأحداث، ووضوح الهدف التربوي إلى جانب التسلية والترفيه. وكان أحمد شوقي -بذلك- عارفًا أن أدب الأطفال أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية، لذلك سعى أن تقدم قصصه الشعرية وأناشيده للأطفال صورة واضحة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه، ولمشكلات حياتهم التي سيواجهونها. وقال شوقي عن الحكايات الشعرية التي كتبها للأطفال : «وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهيرة، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئًا منها، فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة من خلالها على قدر عقولهم»[1].

ولجأ شوقي إلى قصص الحيوانات لما فيها من التشويق والمتعة، وبث فيها الحكمة والفائدة التي تزرع في نفوس الأطفال القيم النبيلة، وصاغ لغتها على نحو ينمي إحساسهم بجمال الكلمة وقوة تأثيرها[2].

---

[1] مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات.

[2] راجع أدب الأطفال تربية ومسئولية، محمد بريغش، ص ٥٦.

وهكذا فإن أمير شعراء العصر يعد بحق رائد أدب الأطفال في العصر الحديث، وإذا كان قد أخذ من الغرب الأسس الفنية وقواعد هذا النوع الأدبي، لكنه أفاد من قراءته في التراث العربي المشرق، وأضاف من تجربته الشخصية ما جعل هذا الأدب الجديد أدبًا عربيًا خالصًا.

وعلى الرغم من الإسهامات المتكررة من الأدباء العرب في هذا الميدان إلا أن أحدًا لم يكمل ما بدأه شوقي، وإنما خمد الاهتمام بأدب الأطفال.

وبدأت في العقد الثالث من القرن العشرين خطوة كبيرة في مسيرة أدب الأطفال في العصر الحديث حيث ظهر اثنان من كبار رواد هذا الأدب هما محمد الهراوي (١٨٨٥ - ١٩٣٩م) وكامل الكيلاني (١٨٩٧- ١٩٥٩م) وكان لهما فضلان :

الأول : أنهما سبحا ضد التيار، فلم يكن المناخ الثقافي يلقي بالاً إلى من يشتغل بهذا النوع من الأدب، ولم تكن الحياة الأدبية تنظر بالتقدير إلى كاتب أدب الأطفال، ولذا تعرضنا للوخز العنيف بزعم أنه «لا يهتم بالتأليف للصغار سوى الذين لا يجدون ما يلقونه على الكبار»[1] . وتحملا كل صنوف السخرية والتهكم حتى أسسا لنا نوعًا جديدًا من الأدب يسمى "أدب الأطفال" فتغيرت نظرة المجتمع

---

[1] مقال لزكي مبارك في جريدة البلاغ في ٨ / ٩ / ١٩٣١م.

إليهم، وأقر هم بفضل "تربية نابتة الجيل وتوجيههم وجهة طيبة صالحة»[١].

الثاني: أنهما شرعا في تقديم إنتاج أدبي كبير شعرًا ونثرًا، فكتب محمد الهراوى منظومات قصصية للأطفال أسماها (سمير الأطفال للبنين) عام ١٩٢٢، ثم كتب (سمير الأطفال للبنات) عام ١٩٢٤ في ثلاثة أجزاء، ثم (أغاني الأطفال) في أربعة أجزاء، وكلها ذات أفكار لازمة لبناء الجيل الجديد، وتشى بسهولة العبارة ووضوح المعنى وجمال الأسلوب، ومن ذلك قوله :

أنا فـي الصُّبْح تلميذٌ — وبَعْدَ الظُّهر نَجّـارُ

فلِـي قلمٌ وقرطـاسٌ — وإزميـلٌ ومنْشَـار

وعِلْمي إن يكُنْ شرَفًا — فما في صَنْعَتي عارُ

فللعُلَمـاء مَرتبـة — وللصُّنّاع مقـدار[٢].

وكتب كامل كيلاني للأطفال نتاجًا أدبيًا ضخمًا جعل الباحثين يصفونه بأنه «الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية، وزعيم مدرسة الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها»[٣] وأنه «عملاق بحق

---

[١] مقال للدكتور مختار الوكيل في جريدة منبر الشرق في ٤ / ١٠ / ١٩٤٦م.

[٢] راجع على الحديدى، في أدب الأطفال، ص ٢٦١.

[٣] المصدر السابق، ص ٢٦٣.

وصدق .... وأنه صاحب منهج فيما قدم، و لم يعتمد على أدب الغرب فحسب، بل إن أعماله العربية تشهد له بالوعى، كما كان له فضل السبق فى تقديم أعمال إفريقية وهندية لأطفالنا»[1] . فحبب إليهم اللغة العربية وقراءتها، وأيقظ مواهبهم واستعداداتهم، وسعى إلى تقوية ميولهم وطموحهم، وعرف كيف يتدرج فى الكتابة حسب سنوات العمر.

إن نظرة فاحصة لبيلوجرافيا كتب كامل كيلانى -التى أعدها حسن عبد الشافى- تكشف لنا ذلك الجهد الرائع الذى بذله الرجل فى مجال أدب الأطفال، فترجم أربع قصص لشكسبير وست أساطير عالمية، وأسطورتين من إفريقيا، وسبع قصص هندية، وترجم أشهر القصص العالمية فى خمسة كتب، ونشرها فى سلاسل : أساطير الحيوان، وحكايات الأطفال، وعجائب القصص، وقصص الجيب، وقصص رياض الأطفال.

ونقل عن التراث العربى -بأسلوبه وصياغته الخاصة- حكايات جحا الخمس، وقالت شهرزاد فى تسعة عشر كتابًا، وإحدى عشرة قصة لجحا، وعشر قصص عن ألف ليلة وليلة، وكتابين فى قصص عربية، وثمان كتب فى سلسلة قصص فكاهية.

وقدم السيرة النبوية الشريفة بأسلوب مبسط للأطفال فى سلسلة كتب جعلها على هيئة حوار بين أصدقاء ثلاثة[2] .

---

[1] الطفل والشعر - ديوان كامل كيلانى للأطفال - إعداد عبد التراب يوسف، ص ٩.

[2] عن أدب الطفل، عبد التراب يوسف، ص ٢١٠.

لقد بلغت كتب كامل كيلاني التـي نشرت مائة وستة وتسعين كتابًا تعبر عن فهم عميق لاحتياجات عقل ووجدان الطفل، فكتب يغذى العقـول، وينشـط الخيـال، ويربى الوجـدان والمشـاعر، ويهــذب النفـوس ويمتعها. وظهر ذلك في اهتمامه بشكل الكلمات، واختيار الألفاظ لتزويد الصغار بثروة لغوية، ووصلهم بتراثهم، وسـار فـى ذلـك علـى منـوال المثـل الأسباني في قصة (حى بن يقظان) الذى يحكى أن امرأة أسبانية كان عليها أن تحمل عجلاً صغيرًا كل يوم وتصعد به السـلم ثـم تهبـط، وكبر العجـل حتى صار ثورا وهى على عادتها، تحمله كل يـوم دون أن تتـأثر، لأنهـا لم تحس بالزيادة الطفيفة التى كانت تزيـد كـل يـوم فـى وزن العجـل، فكـان كامل كيلانى يحرص على أن يرتقى بلغة الكتابة للطفل رويدًا رويدًا، حتـى يرقى بلغة الطفل وفكره.

وظهر عدد من الكتاب الذين أسهموا بأشكال عديدة فى تكريـس أدب الطفل وذيوعه وانتشاره وجذب الاهتمام إليه، منهـم حـامد القصبى الذى اهتمت وزارة المعارف عـام ١٩٢٩ بنشـر كتابـه (التربيـة بـالقصص لمطالعـات المدرسـة والمـنزل) وهـو مجموعـة قصـص مترجمـة تصـرف فيهـا الكاتب على نحو يجعلها قريبة من نفوسنا، وظهـرت كتابـات محمـد سـعيد العريان الـذى تقـدم بهـذا الفـن الأدبى مسـافات كبيرة جعلـت البـاحثين يصفونه بأنه «القمة التى لم يسـامها أو يدانهـا أحـد مـن الكـاتبين بالعربيـة

للأطفال من قبله أو فى عصره، فقد وصل فى هذا الفن إلى درجة من الكمال الفنى جعلته مثلاً للذين يكتبون للأطفال من بعده»[1].

وكان محمد سعيد العريان من كبار رجال التعليم فنجح فى أن ينقل الاهتمام بأدب الأطفال إلى المسئولين عن تربية الأطفال، وعمل على توزيع كتب الأطفال على مكتبات المدارس، ورأس تحرير مجلة (سندباد) التى أصدرتها الوزارة للأطفال لمدة تسع سنوات متوالية، وتوج ذلك كله بأن حمل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب على تخصيص جائزة سنوية من الدولة لأدب الأطفال.

واتسعت دائرة الاهتمام بأدب الأطفال بعد أن صار جنسًا أدبيًا راقيًا، فشارك كثير من الشعراء والكتاب والقصاص فى الكتابة فيه، ومن الشعراء محمود أبو الوفا وعبد الرحيم الساعاتى، ومن القصاص محمد فريد أبو حديد الذى كتب أولى رواياتنا للأطفال فى أوائل الستينات (عمرون شاه) و(كريم الدين البغدادى) وعبد الحميد جوده السحار وعطية الإبراشى وسيد قطب. وازدادت دائرة الاهتمام اتساعًا فظهر عبد التواب يوسف وتبعه جيل كبير من القصاص. وأسهم كثير من الكتاب أيضًا فى ترسيخ وتغذية أدب الأطفال مثل محمد أحمد بوانق وعبد اللطيف عاشور ومحمد سليم وجمال أبو رية وأحمد بهجت وغيرهم كثير.

ولا مشاحة فى أن أدب الطفل فى الأدب العربى الحديث قد بدأ خطواته وهو يرنو إلى الآداب الغربية يترجمها ويقتبس منها، ولكن مع

---

[1] فى أدب الأطفال، على الحديدى، ص ٢٧٠.

انتشار التعليم وقوة الاتصال بالتراث، ومع نمو الشعور بالشخصية القومية والقدرة الذاتية اتخذ أدب الأطفال عندنا السمت العربي الخالص، وصار أدبًا معبرًا عن العقل العربي والوجدان العربي ليس غير، فلا ينكر أحد أن كتابنا المعاصرين إنما يدعون أدبًا عربيًا مثل عبد التواب يوسف من مصر، وسليمان العيسى من سوريا، وفاروق سلوم من العراق وغيرهم.

مراحل أدب الأطفال :

ليست الطفولة مرحلة واحدة، بل تنقسم فترة الطفولة إلى مراحل عدة لكل منها سماتها وخصائصها، ولذا فإن لكل منها أدبها المناسب، ومن ثم أجمع الباحثون على تقسيم أدب الأطفال إلى أقسام تتناسب مع المستوى السني ويخاطب كل منها مرحلة من مراحل الطفولة.

أولاً : مرحلة الطفولة الأولى (١ - ٣ سنوات) :

تعد المناغاة أول حديث جميل في حياة الطفل، وعلى الرغم من أنها عديمة المعنى، ولا يفهم الطفل منها شيئًا، إلا أنه يستحيب لها لعبًا بأطرافه ثم ترديدًا لها. ومن هنا ذهب كثير من الباحثين[١] إلى ضرورة تعليم الأدب منذ مرحلة الحضانة، إذ ثمة شواهد عديدة على تذوق الأطفال للأدب منذ نعومة أظافرهم وقدرتهم على فهم النص الأدبي والاستمتاع بترديده، والرغبة في تكرار بعض مقاطعه، ومن هذه الشواهد أن المرأة العربية قديمًا قد عرفت شعر ترقيص الأطفال، وهو لون من الشعر الشعبي[٢] يطلق عليه أغاني المهد أو أغاني الطفولة، فكانت تهدهد طفلها فتتغنى له بأبيات من بحر الرجز سهلة المعنى عذبة الإيقاع، تضع فيها ما تتمناه له في غده من تمسك بالقيم والفضائل، ومن أمثلة ذلك[٣] :

---

[١] منهم الدكتور أحمد حنوره في كتابه في أدب الأطفال، ص ١١٨.

[٢] راجع الشعر العربي، د. حسين نصار. المكتبة الثقافية / ٦٠، أول مايو ١٩٦٢م.

[٣] راجع أطفالنا في عيون الشعراء، أحمد سويلم ص ١١٠ - ١١٢، سلسلة اقرأ، نوفمبر ١٩٨٥م

يـا حبذا روحُه وملمسُهُ

أصلح شيء ظلُّهُ وأكيسُـه

ا لله يرعـــاه لى ويصلحُهُ

وهذه ترقيصة فخر ودعاء معًـا للولـد الصغير، وكـانت أم الفضـل بنت الحارث ترقص ولدها عبد ا لله بن العباس فتدعو علـى نفسـها بـالموت إن لم يكن مقدرًا لابنها أن يكون سيد قومه.

ثكلتُ نَفْسـى.. وثكلتُ بِكرى　　　إنْ لَمْ يَسُدْ فِهْرًا وغيـر فهرِ

بالحسَبِ الوافى .. وبذل الوَفْرِ　　　حتى يوارى فى ضريح القبر

وكذلك انتشر ترقيص البنات فى البيئة العربية، وكان العربى يتمنى لابنته ما يتمناه للحسان حينما يكبرن، فهذا أعرابى يرقص ابنته قائلاً :

كريمـــة يحبها أبوهـــا

مليحة العينين عذب فوهـا

لا تحسن السّبَّ وإن سَبُّوها

وقال الزبير بن عبد المطلـب وهـو يرقـص ابنتـه أم الحكـم فيشبهها بالظبى :

يا حبذا أم الحكمْ

كأنها ريـــم أحمْ

يا بعلها ماذا يشم

ساهم فيها فَسَهَمْ

وكان النبى -عليه الصلاة والسلام- يرقص الحسن والحسين بكلمات قليلة وهو سعيد باللعب معهما، ويقول :

حُزُقّةٌ حُزُقّةْ   تَرَقَّ عينَ بَقّهْ

بل إن النبى -عليه الصلاة والسلام- نفسه قد رقصته أخته شيماء فى بادية بنى سعد بهذه الأبيات :

يـــا ربنا ابق لنـــا محمدا

حتـى أراه يافعــــا وأمردا

ثــم أراه ســـيدا مسـودا

واكبت أعاديه معا والحسّدا

واعطـــه عـــزا يدوم أبدا

والأمر نفسه نراه فى العصر الحديث حيث تستخدم الأم كلمات مسجوعة موسقة تهدهد بها الطفل أو تنيمه[1] أو تدفعه إلى الكف عن البكاء، وكذلك طرب الأطفال وتعلقهم بإعلانات التليفزيون ذات الإيقاع الموسيقى الظاهر، وأيضًا هذا التعلق الملاحظ للأطفال بفن الأناشيد بسبب خصائصه الفنية التى تجعلهم يحفظونه فى سهولة ويرددونه فى سرعة.

---

[1] مثل قول الأم لطفلها (نام ياحبيبى نام   وادبح لك جوز حمام)

وإذ تمضى سنتان من عمر الطفل تكون قدرته على الاستماع قد نمت، فيستطيع الربط بين الأصوات والمعانى المتصلة بها، ويظهر ذلك فى استعماله لبعض الكلمات، «وفى هذه المرحلة تبدأ اللغة فى النمو، كما تنمو حواسه، وتتطور حركاته»[1]. وفى هذه المرحلة يوضع الأساس الأول لعملية تعلم القراءة حين يهتم الكبار بإشباع رغبات الصغار بتعليمهم كلمات وألفاظًا جديدة، ثم تقديم الكتب المناسبة لهم، فينتقل الطفل من مرحلة الاستماع إلى مرحلة القراءة فى سهولة ويسر على الرغم من قلة محصوله من المهارات القرائية.

ويجب أن يحتوى أول كتاب نقدمه للطفل على ما يألفه ويعرفه كاللعب والملابس والحيوانات والطيور، فيتعرف الطفل عليها، ثم بعد ذلك نقدم له كتابًا يتضمن مادة قصصية بسيطة يتابعها الطفل من تتابع الصور والألوان، لأن الطفل فى هذه السن يدرك الأشياء منفصلة لكن تتابعها مع شيء من الاختلاف يلفته إلى الترابط. أما الكتاب الذى يحوى ذلك فيجب أن يكون من هذا النوع الذى تتحمل أوراقه عبث الأطفال.

ثانيًا : مرحلة الطفولة الثانية (من ٣-٦ سنوات) :

يتطور الطفل فى هذه المرحلة عن سابقتها كثيرًا، ولذا تسمى مرحلة الطفولة المبكرة، التى تبدأ فيها ثروته اللغوية فى التكون، ويشرع فى التعامل مع الآخرين، ويحقق قدرًا من الاندماج الاجتماعى ثم تبدأ قدرته

---

[1] تطور الطفل عند بياجيه، د. غسان يعقوب، ص ٨٠، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢م.

على التفكير فى الظهور، ويتقدم فى فهم بعض معانى الكلمات. وفى هذه المرحلة أيضًا يبدأ الطفل -رويدا رويدا- فى الابتعاد عن أبويه والاعتماد على نفسه، فينمو لديه الإحساس بالاستقلال ويبدأ فى الاعتداد بشخصيته، كما يبدأ فى التمييز بين الواقع والخيال، وتشب قدرته على الملاحظة وإدراك التفاصيل، وفى هذه المرحلة تتأكد خطورة الثقافة فى حياة الطفل، ولذا «نشأ خلال السنوات الأخيرة اهتمام جدى بهذه المرحلة فى بلدان العالم المتقدمة فأنتجت الأفلام القصيرة التى يستطيع الأطفال الصغار فهمها، وقدمت لهم برامج تليفزيونية ومسرحيات وكتب ومجلات، وبهذا ظهرت إضافات جديدة من أدب الأطفال لأولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة ولم يدخلوا المدارس بعد وأطلق على هذه الإضافة أدب الأطفال الصغار»[1].

إن أفلام الأطفال -المعدة جيدًا- لا تجذب إليها الصغار فقط، بل تجذب إليها الكبار أيضًا. والفيلم قصة قدمت بوسائط فنية معينة، لذا يستطيع طفل الثالثة أن يتابعها ويتقبلها، ويتوقع أحداثها، ويسعد بها، خاصة إذا تناولت عناصر يعرفها من البيئة مثل الشجرة والبيت والسيارة وغيرها.

والطفل «فى سن الرابعة يحب اللعب بشغف، ويميل لمشاركة الآخرين، ويمكنه تقبل القصص ذات العقدة البسيطة، وله القدرة على ربط الأفكار، وفهم العلاقات المتبادلة فى أخف صورها، ويظن أن الأشياء

---

[1] أدب الأطفال، هادى نعمان الهيتى، ص ٢٧٥، العراق ١٩٧٧م.

والحيوانات لها دوافع ورغبات مثله. وفى سن الخامسة يتعلق بالقصص التى تمده بالمعلومات، كما يستمتع بالقصص التقليدية التى تشرح أحاسيسه، فى السادسة يزداد حب الاستطلاع لديه وخاصة فيما وراء بيئته، ويسهل عليه تعلم القراءة والكتابة، ويكثر من التساؤلات، ويتخيل عالم ما وراء الطبيعة أو الغيبيات»[1]. ويتسم بأنه طلق الخيال، «وهو لذلك يعجب بالقصص الخيالية ذات الشخصيات الحيوانية أو الجمادية الناطقة أو المتحركة على أن تكون مما يعرف عنها شيئًا فى حياته الواقعية»[2].

ولا يملك الطفل فى هذه السن الباكرة خبرة بالحياة فى هذا العالم، وإنما تغلب عليه السذاجة وتصديق ما يقال له أو يقدم إليه، لذا يجب أن نرفض فى قصص الأطفال الحكايات المفزعة كقصص الجنيات والأشرار والسحرة لأنهم يصدقون قدراتهم الفائقة ويصيبهم منها الخوف والفزع والرعب فى يقظتهم ومنامهم، «ومن الأفضل أن تستبقى قصص الجنيات حتى يصبح لدى الطفل معلومات أكثر عن العالم تؤكد له عن طريق الحقائق أن هذه القصص وهم وخيال، وذلك بعد سن الخامسة، حينئذ يستمتع بها الطفل على أنها خيال ووهم فتبعث فى نفسه المتعة والرضا والسرور»[3].

---

(١) أدب الأطفال فى ضوء الإسلام، نجيب الكيلانى، ص ١٢٤، بيروت ١٩٨٦م.

(٢) أدب الأطفال، على الحديدى، ص ٨٧.

(٣) السابق، ص ٨٨.

فإذا أضفنا إلى ذلك أننا معنيون بأن نزرع فى الطفل قيمًا اجتماعية وأخلاقية من ذلك النوع البسيط الذى يناسب عقله مثل أهمية الصدق، واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، ولفته إلى الأشياء الهامة فى حياته وبيئته، فإننا بذلك كله نكون قد حددنا محتوى ومضمون أدب الأطفال فى هذه السن. أما شكل هذا الأدب فإنه يتسع لكل القوالب اللغوية المعبرة، والتى عادة ما يتأكد فيها «الاهتمام بموسيقى الكلمات، والاستمتاع بالجمل المنغومة، والافتتان بالسجع والوزن، والشوق إلى التكرار الموسيقى للجمل والكلمات المعادة، ومن ثم تروقه الأغنيات والقصص المسجوعة ذات الوزن الموسيقى، لأن الطفل فى هذه السن يستمتع ببعض القصص من أجل الأصوات والأنغام التى تحدثها موسيقاها فقط، ومن أجل حبه للتكرار يتوق إلى سماع قصصه المفضلة مرات ومرات ولا يمل تكرارها»[1].

ويستطيع الطفل فى نهاية هذه المرحلة أن يتعامل مع أكثر من فكرة ويربط بينها، فقد "يتعاون مع غيره فى اللعب فيكونون فصلاً دراسيًا (المدرس أو الدرس وتلاميذهما) أو عيادة طبية (الطبيب ومرضاه) أو بقالة (البائع والمشترين) وهكذا". ومن ثم فإن القصة الملائمة فى هذه الحالة «قد تتكون من حدث بسيط لينتهى بعقدة بسيطة وسهلة أيضًا، كما قد تتطور طبيعة الشخصيات من نوعيات لصيقة ببيئة الأطفال كالأب والأم

---

[1] السابق، ص ٨٦.

والإخوة، إلى شخصيات ليست لصيقة ببيئتهم، ولكنها مألوفة لديهم كالمدرسين والزملاء والضيوف والأصدقاء»[١] .

ثالثًا : مرحلة الطفولة الثالثة (من ٧ - ٩ سنوات) :

ليس من شك فى أن طفل هذه المرحلة يكون قادرًا على الفهم والتركيز، والإحاطة بأمور وأفكار وقيم أكبر وأوسع مما كان عليه، مثل المجتمع والأمة والوطن، والدين، والتاريخ، والمجد. وهذه القدرات يتسق معها نهم شديد إلى المعرفة والتعلق بالأشياء، والإقبال على القراءة والاستغراق فيها، وإتقان الكتابة، وحب الاستطلاع، ونشاط ونمو الخيال. ولذا فإن الأنواع الأدبية -مثل القصص والأناشيد والمسرحيات وغيرها- ينبغى أن تشملها القيم الروحية القومية التى تعنى بالأمة العربية، وتتغنى بأمجادها وبطولاتها المشرقة، أو تصور مواقفها الخالدة فى الماضى والحاضر وآمالها فى المستقبل، وتذكى فى نفوس الناشئة الشعور الدينى والوطنى والقومى، وتوجههم إلى الإحساس بالقيم والمثل الدينية والاجتماعية، وأيضًا يتوق الطفل إلى الخيال ويتعلق بشخصياته الغريبة، ولذا «لابد من الحذر فيما يقدم لتنمية خيال الطفل، وضرورة الحذق فى ربطه دائمًا بالواقع وبالحقائق، ويسهل هذا الربط نمو معارف الطفل وقدرته على التحليل والتفكير فى هذه المرحلة»[٢] . التى يشغف فيها بقصص الخيال مثل القصص الخرافية عن الجنيات والحصان الطائر والبساط السحرى والعمالقة

---

[١] النص الأدبى للأطفال، سعد أبو الرضا، ص ٣١.

[٢] الطفل العربى وثقافة المجتمع، ذكاء الحر، ص ٤٧، لبنان ١٩٨٤م.

والأقزام وغيرها. لكنه أيضًا بسبب قدرته على التركيز والانتباه «يعشق حكايات الألغاز، والفوازير، والأسرار، والأشباح، ويهوى قصص البطولة والتراجم والسير، وخاصة إذا أحسن سردها وتلاحقت أحداثها»[1].

ولا مشاحة فى حاجة الطفل إلى الطرائف والقصص الفكاهية، لكنه أيضًا فى حاجة إلى أدب يعرض له القدوة والمثل الأعلى، ويزوده بمعلومات عن النماذج الناجحة فى المجتمع، ويستثير ميوله الكامنة فيه، ويشبع اهتماماته، ويجيب على أسئلته واستفساراته.

رابعًا : مرحلة الطفولة المتأخرة (٩ - ١٢ سنة) :

تعد هذه المرحلة امتدادًا ونموًا للمرحلة السابقة، فيزداد معدل النمو الجسمانى، وتتنوع الاهتمامات، ويزداد التعلق بالقراءة، ويعتاد الطفل على تنوع الآراء والأفكار والعلاقات، ويزداد ميل الطفل إلى المغامرة والمنافسة وإبراز البطولة والشجاعة، ويصحب ذلك جميعًا ميل إلى الاستقلال وإثبات الذات. ومع نمو جسمه وما يطرأ عليه من تغيرات يتجه إلى القصص الوجدانية والعاطفية، وهنا تبرز أهمية التوجيه والانتقاء بحيث تقدم له أعمالاً أدبية ذات أهداف إنسانية وقيم شريفة تعينه على تحقيق التوازن النفسى والتوافق مع المجتمع مثل قصص أبطال المسلمين، وقصص العلماء والمخترعين والمكتشفين والرحالة، وقصص الخيال العلمى وغيرها بشرط أن تكون قصصًا يرقى فيها البناء الفنى للقصة، بما يعلى من إدراكه الجمالى وحسه الفنى، ويلائم نموه العقلى والجسمى.

---

[1] أدب الأطفال، نجيب الكيلانى، ص ١٣٤.

أهمية أدب الأطفال :

صار أدب الأطفال ضرورة ملحة فى زماننا، خاصة وقد تعددت وسائل الاتصال والتأثير، وتنوعت حتى كاد الطفل أن يغرق فى ركام من المعلومات التى لا نملك لها ضبطًا ولا قيدًا. ولما كان من أول أهدافنا أن ينشأ الطفل فى بلادنا ممتلئًا بالقيم والتقاليد والمعارف التى تنبع من واقعنا وتمتلئ بها وجداناتنا، وتستشرف آفاق مستقبلنا، بات لازمًا أن نهتم بما يقدَّم إلى الطفل، ونعنى عناية خاصة بكل ما يغذى عقله ووجدانه ويخاطب مشاعره وخياله، فليس الأمر مجرد تسلية أو شغل أوقات الفراغ، وإنما هو بناء لشخصية نريد لها غدًا، ونتوسم لها دورًا.

ولا مشاحة فى أن مرحلة الطفولة تتسم بالنهم المعرفى، ولذا فإن توظيف الإمكانات لإشباع حاجات الطفل المعرفية، يثمر لنا آخر الأمر عقلاً ممتازًا منظمًا، ونفسًا هادئة متوازنة، ووجدانًا ثريًا، وخيالاً خصيبًا، وإحاطة لغوية مناسبة، واستعدادًا طيبًا للقراءة والتلقى.

لقد ازداد الوعى العام لدى الناس بأهمية مرحلة الطفولة، لأنها الأساس الأول لبناء مستقبل طيب للأبناء، ومن ثم شرعت الأسرة والدولة فى توفير كل سبل الرعاية على تنوعها -ومنها أدب الأطفال- لأن مستقبل الأمة مرهون دائمًا بطريقة تربية أبنائها، فإذا تمت تربيتهم على أساس من الدين والخلق والعلم ضمنت الأمة لنفسها مستقبلاً طيبًا، وضمن الآباء لأبنائهم نجاحًا وتميزًا فى الحياة.

ولعل من أسباب أهمية أدب الأطفال وضرورته، زيادة أعداد الأطفال -فى مصر مثلاً- زيادة كبيرة، وصاروا يمثلون نسبة ملحوظة فى تعداد السكان العام، حيث يبلغ عددهم حسب تقديرات عام ١٩٩٧م حوالى ٢٠ مليونًا، يلتحق عدد كبير منهم بمراحل التعليم المختلفة، وهم جميعًا فى حاجة إلى أدب يغذى عقولهم ويبنى نفوسهم، ولذا زادت إصدارات الكتب، وازداد الإقبال على شرائها.

وكان من نتيجة زيادة الوعى العام وزيادة أعداد السكان، أن زاد الإقبال على التعليم زيادة كبيرة، فقد صارت الأسرة حريصة على تعليم أبنائها، وغرس حب العلم فى نفوسهم الغضة، بعد أن بات السبيل الأكيد للرقى فى مدارج الحياة. وقد اشتركت الحكومات فى تأكيد ذلك، إذ جعلت التعليم إلزاميًا فى مراحله الأولى، وأتاحت مناهله أمام الناس جميعًا، فأدى ذلك كله إلى مزيد من الاحتياج إلى أدب للأطفال يسهم فى بنائهم بناءً قويمًا.

وإلى جانب التعليم النظامى تعددت وسائل التثقيف فى المجتمع، فلقد كثرت الصحف والمجلات والإذاعات ومحطات التليفزيون والسينما والمسرح وغيرها، وطبيعى أن ينشأ بينها تنافس شديد لاجتذاب جمهور الأطفال، وهم قطاع كبير فى المجتمع. وهذه الوسائل جميعًا فى حاجة إلى مادة أدبية جيدة لتقديمها إلى الأطفال بوسائلها الفنية المختلفة، حتى لا يحاصر أطفالنا بألوان من الأعمال الهابطة التى قد تفقدهم شهيتهم إلى القراءة، أو تلوثهم بسموم عقلية وفكرية ووجدانية.

لقد نص ميثاق جنيف الصادر فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٩م على «أنه يجب على المجتمع أن يوفر للطفل جميع الوسائل الضرورية لنموه الطبيعى جسميًا وخلقيًا وروحيًا». واهتمت بلادنا بذلك اهتمامًا كبيرًا، فانعقد المؤتمر الأول لثقافة الأطفال فى شهر مارس عام ١٩٧٠م، ومنذ ذلك الحين لم تتوقف المؤتمرات وحلقات البحث والندوات العلمية حول أدب الأطفال، وصدرت كتب عديدة إضافة إلى البحوث والدراسات، إضافة إلى مهرجان القراءة للجميع.

وهكذا تعددت مظاهر الاهتمام بأدب الأطفال، فاهتمت الدولة بمكتبات المدارس وتزويدها بالكتب اللازمة، وتنظيم المسابقات للتلاميذ لتنمية روح القراءة وحب الاطلاع فيهم، وتزويدهم بالكتب المتنوعة التى تتفق مع ميولهم وتناسب قدراتهم. واهتمت أيضًا بالمكتبات العامة، وفى كل عام تزداد أعدادها، وتدعم ميزانيتها، وتخصص أجزاء منها لكتب الأطفال. وأقيمت المكتبات المتخصصة لثقافة الطفل، وعمرت بكتب الأطفال على تنوعها، وهى مكتبات صممت خصيصًا لتناسب حركة الطفل وهواياته.

واهتم المسئولون على تعدد مستوياتهم بالطفل والعمل على تثقيفه وتهذيبه، وأنشئت الهيئات والمجالس والإدارات الخاصة بشئون الطفل فى كل بلد عربى، وتوجت جميعًا بالمجلس العربى الأعلى للطفولة الذى أنشئ عام ١٩٨٧م فى القاهرة.

واهتمت دور النشر بكتب الأطفال، وصدرت السلاسل المتعددة الأسماء والألوان. وليس من شك فى أن سوق كتب الأطفال هى سوق رائجة، وهو ما حفز الدور المختلفة على زيادة الاهتمام بالأطفال، والسعى وراء كتابات كبار الكتاب لتقديمها إليهم.

وزادت مسابقات الأطفال حثًا لهم وتشجيعًا على إبراز مواهبهم وتنميتها، كما عقدت مسابقات للمبدعين فى مجالات الكتابة للطفل، ورصدت لها الجوائز القيمة لحثهم على الكتابة للأطفال.

وخصصت المجلات المتميزة للأطفال، وأجزاء من الصحف اليومية، أما الإذاعة والتليفزيون فقد تسابقا للاهتمام بالطفل ورعاية شئونه وتبنى مشكلاته، وأنشئت مسارح الأطفال، وكثرت أفلام الأطفال، وهى جميعًا تتدرج وفق مراحل عمر الطفل المختلفة.

أديب الأطفال :

الأديب شخصية متميزة بإبداعها، وطبيعي أن يكون ذا ثقافة واسعة متنوعة، مطلعًا على الأعمال الأدبية الجيدة سواء كانت قديمة أو حديثة، لكنه ينبغي أن يجمع إلى ذلك معرفة واعية بالجمهور الذى يكتب إليه، وهم الأطفال، فيعرف طبائع الأطفال، ومراحل نموهم، ليقيس بذلك خصائصهم النفسية، ودرجة نموهم العلمى، ومستواهم اللغوى، والأشكال الأدبية المحببة إليهم.

إن معرفة الأديب بالأشكال الأدبية المحببة إلى الأطفال توقفه على الأدوات الفنية المرغوبة لدى الأطفال كما تحققت فى كتابات من سبقه، كما أن عليه أن يقرأ ما كتبه المتخصصون فى الشكل الأدبى الذى يريد الكتابة فيه.

كما أن الخيال الواسع للأديب وقدرته على تمثل مراحل الطفولة، بكل مظاهرها وحاجاتها وانفعالاتها، تكون خير معوان له على كتابة فن أدبى جيد يحقق الفائدة والمتعة للأطفال.

ومعايشة الأديب للأطفال، وحبه لهم، وحواراته معهم، شرط أساسى لكتابة أدب يغنى الطفل ويرضيه، بل نضيف إلى ذلك أن الأديب الناجح إنما يعرض أعماله على الأطفال قبل أن يخرج بها على الناس، ليقيس مدى تأثرهم بها، وقبولهم لها، وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى يفعل ذلك، فقد كان يقرأ أعماله على الأطفال، ويتابع نظراتهم

وانفعالاتهم، ففى ذلك توثيق لصلة الكاتب بجمهوره، وحرص علـى نجـاح أعماله.

ومثل هذا الفعل دليـل علـى إخـلاص الكـاتب فـى عملـه، وتفانيه لإنجاحه، وهما ركيزة تمرسه وشهرته، وعلامة على صبره ومثابرته. وأيضًا ينبغى أن يعرض أديب الأطفـال إنتاجـه علـى المتخصصـين ليعـرف آراءهـم ويفيد بتوجيهاتهم.

وما دام أدب الأطفال لازمًا لبنائهم الخلقى، فلابد أن يكون كاتب أدب الأطفال كريم الخلق، نبيل الصفات، وقدوة طيبة للصغار من أبنائنا.

ولقد سبق لنا القول إن أدب الأطفال لابـد أن يسـتوفى خصـائص الأدب وشرائطه، وينماز عليها بمراعاة خصائص المرحلة السنية التى يكتـب لها، لذا يتسم أسلوب أدب الأطفال بالبساطة والسهولة، والبعد عن التعقيد والالتواء والتكلف، أو استعمال الألفاظ الغريـبة والعبـارات الغامضـة، لأن ذلك من شأنه أن ينقص من جمال الأدب ويحول بينه وبين القلـوب. لكـن الأديب ينبغى له أن يميل إلى جمال الأسلوب وجاذبيته، وإجادة كـل فنيـات الشـكل الأدبـى، واسـتخدام التعبـيرات الموحيـة، والتنويـع فـى الأسـاليب، وغيرها.

ويمكن للأديب أن يسترشد -أيضًا- بـآراء ناشـر كتـب الأطفـال، شريطة أن يكون هذا الناشر واعيًا ومثقفًا.

غايات أدب الأطفال :

كل مخلوق موكول بغاية، فلا شيء يقع اعتباطًا أو خبط عشواء، ويؤكد هذه الحقيقة وجود الإنسان نفسه في الحياة على هذه الأرض، قال تعالى ﴿أم حسبتم أنا خلقناكم عبثًا﴾. وما دمنا نتفق على أن لكل شيء غاية، وأن لأدب الأطفال دوره في تكوين الطفل وبنائه بناء صحيحًا، فإن لأدب الأطفال غاياته التي يطمح إليها ويسعى إلى تحقيقها بوسائله، وإلا كان غير ذي نفع لأطفالنا. ومن هذه الغايات:

أولاً: غاية إيمانية :

فغني عن القول إن كل مولود يولد على فطرة الإيمان با لله سبحانه وتعالى الذي خلقه وسواه في أحسن صورة، ولقد قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[1] . ومن ثم فإن على أدب الأطفال أن يربط الطفل بخالقه، وأن يعمق فيه فكرة التوحيد لله، الواحد الأحد، الفرد الصمد. والرسول صلى ا لله عليه وسلم يقول: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة: لا إله إلا ا لله»[2] . ومن شأن فكرة التوحيد أن يتعلق قلب الطفل بحب ا لله سبحانه وتعالى، فيتفتح وعي الطفل وهو يرى ويحس برعاية ا لله له وللخلق من حوله، ومن خلال موضوعات الأدب يتعمق الفهم

---

[1] البخاري في كتابه التفسير.

[2] تحفة المودود، جـ١٦.

والإحساس بذلك، إذ يتحقق الربط بين الخالق ونعمه الكثيرة، ويشعر الطفل كم أن الإنسان مخلوق عاجز أمام الله، فله وحده الفضل في كل شيء. كما أن عرض قصص الأنبياء يعمق في نفوس الأطفال هذه الغاية، ويقربهم إليها.

ومن المهم أن يتعلم الطفل القرآن الكريم في السنوات الأولى من حياته، حيث يكون أكثر استعدادًا للتلقي والحفظ، وكلنا يتذكر كيف شُبِّه العلم في الصغر بالنقش على الحجر، دليلاً على ثباته ورسوخه في ذاكرة الإنسان. ولقد كان منهج الدراسة في عهد الخلفاء الراشدين يضم القرآن الكريم، ومبادئ الدين، والقراءة، والكتابة، والشعر، ثم ما يلي ذلك من علوم لازمة للحياة، مع الحرص على التدرج وتجنب ما ينفر الطفل من التعليم[1].

وكان ابن سينا يرى ضرورة البدء بتعليم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين عقليًا وجسميًا، مع تعلم حروف الهجاء، ثم رواية الشعر[2].

لقد عرض لنا القرآن أحسن القصص في أروع بيان، وهذه مادة أدبية عظيمة، واضحة الهدف، تتسم بالحياة والحركة المتعددة الأبعاد، وفي ذلك جذب للطفل، وإشباع لرغباته، وترسيخ لمعنى الإيمان لديه.

---

(١) د. أحمد شلبي، التربية والتعليم في الإسلام، ص ٢٤.

(٢) محمد حسن بريغش، أدب الأطفال، ص ٨٥.

ثانيًا : غاية معرفية :

إن أدب الأطفال يستطيع إمداد الطفل بكثير من المعلومات والمعارف الجديدة التى لم يكن له بها علم، فتتسع قدراته العقلية حتى يستطيع إدراك العلاقات بين الأشياء، وربط الأسباب بالنتائج. وبذلك يقدم الأدب للطفل الغذاء الفكرى الذى يرقى به وينميه عن طريق نقل المعرفة إليه، وإمداده بالخبرات والتجارب البشرية التى تعينه على فهم الحياة، وتعزز ولاءه لأمته، فتتسع ثقافة الطفل، وتتنوع معارفه، وينمو لديه حب الاستطلاع والرغبة فى الفهم والاكتشاف، كما ينمو لديه الاستعداد للحفظ، وتزدهر قدرته على التذكر، فيصير قادرًا على الاستشهاد بالنصوص والأفكار، وتثرى قدرته على التعبير والمناقشة، وتتفجر مواهبه وميوله.

وتنمية ملكة الحفظ لدى الطفل أساس لازم له لمواجهة الحياة، فهو فى حاجة إلى الحفظ لاستكمال دراسته، وإثراء محصوله اللغوى، والتميز عن أقرانه. لكن اللغة والأدب يلزمان الطفل بتنمية ملكة الحفظ لديه، فلابد أن يحفظ كثيرًا من ألفاظ اللغة ومأثورتها ليتمكن من لغته، ذلك لأن كثرة الحفظ تطبع فى الذهن صور هيئات الألفاظ وتراكيبها العربية، فيستطيع النسج على منوالها، ولا يغرب عنها، كما أنها أساس لتقويم اللسان، وإحساس النطق، ولا يكون ذلك بغير حفظ الجيد من الفنون الأدبية المختلفة من شعر وقصة وغيرها. ولذا يقول ابن خلدون: «لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربى، وعلى قدر جودة المحفوظ،

وطبقته في جنسه، وكثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عند الحفاظ»[1].

إن ملكة الحفظ تظهر فى كتابات الإنسان وأحاديثه، فالخطيب مثلاً يظهر محفوظه فى قدرته على التنويع فى الأساليب، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وأبيات الشعر، وأحداث التاريخ، وغيرها. وفى ذلك ما يلفتنا إلى أهمية الحفظ من القديم والجديد معًا، فلا ينبغى أن يتعلق الطفل بحفظ ما يروقه من الأنواع الأدبية الحديثة فقط، بل إن قراءاته أيضًا لما كتبه الأجداد فى درر التراث العربى يعطيه ميزات هائلة عندما يكتب أو يتكلم.

وينبغى أن يكون حفظ الطفل حفظًا واعيًا، يقوم على حسن نطق الألفاظ، وفهم المعانى، وتخيل الصور، ليَعْلَق النص الأدبى بذاكرته، ويتذوق ما به من جمال؛ أما الحفظ الآلى كالببغاء فإنه لا يفيد شيئًا، لأن عقل الطفل لم يفهمه، ووجدانه لم يتذوقه، وذاكرته لا تحتفظ به كثيرًا.

ثالثًا : غاية لغوية :

فاللغة وسيلة الإنسان للتخاطب والتعامل مع الآخرين، والأدب منتج لغوى لا يتحقق بغير اللغة، من هنا كان الأدب مصدرًا أساسًا لتزويد الأطفال بثروة لغوية، لا يدخلون الحياة بدونها، فيتعلمون النطق الصحيح للكلمة، وكيف تخرج الأصوات من مخارجها، ويتعلمون دلالة الكلمة

---

[1] مقدمة ابن خلدون، ص ٥٢٢.

ومعناها، ثم يتعلمون كيف يتمثلون شحنات المشاعر والأحاسيس والمعـانى فى الكلمات، فيثرى خيالهم بصور ما كان لهم أن يعرفوها بغير الأدب.

فالأدب يزود الطفل بكلمات تتجمع لتكون ثروته اللغويـة، وأيضًـا يتعرف على الأنواع الأدبية المختلفـة، مـن شـعر وقصـة ومقـال ومسـرحية وغيرها.

وهكذا فإن أدب الأطفال يُقوِّم ألسـنة الصغـار، ويزوّدهـم بسـلامة النطق، وحسن الأداء المعبر عـن المعنـى. والأدب مصـدر إمدادهـم باللغـة الصحيحة، والمعانى السامية، والخيال المحلق، فلا مندوحة عنه ليعرف الطفل -مع الأيام- الهيئات والتراكيب العربية. «وتقديم الألفاظ للطفل ينبغى أن يكون متدرجًا وفقًا لجوانب نموه ومراحله المختلفة، وأن يبدأ من الكلمـات القليلة الأحرف إلى الكثيرة، ومن الكلمات المحسوسة إلى المجردة، ومما يتصل ببيئته القريبة إلى ما يتصل بالعالم الخارجى»[1].

فالثروة اللغوية للطفـل تبـدأ بمعرفتـه للكلمـات البسـيطة، وإدراكـه لمعانيها، وضبطه الصحيـح لبنيـة الألفـاظ، ودقـة مخـارج أصـوات الحـروف المنطوقة، وصحة كتابة الكلمات دون خطأ، وضبط أواخر الكلمات ضبطًا صحيحًا.

ثم يتسع الأمـر لينتقـل الطفـل من الألفـاظ والكلمـات المفـردة إلى الجمل والعبارات التامة، فيعتاد على اختلاف الأساليب وتنوعها، ويتعلق بما

---

(1) أحمد حنوره، أدب الأطفال، ص ٦٦.

يشاء منها فيتمرس بالحفظ وإجادته، كما يتدرب على استدعاء ما يختزن في ذاكرته، فيكون قادرًا على استدعاء الألفاظ والجمل والعبارات من محفوظه متى شاء، فيضمن كلامه المأثورات الجيدة، وأبيات الشعر، فيدلل بذلك على صحة رأيه وقوة حجته، ويمتلك القدرة على الاستعمال الأمثل لألفاظ اللغة وعباراتها.

ويمكن تنمية الثروة اللغوية للأطفال -ألفاظًا وجملاً وعبارت- بطرق شتى تأتى فى مقدمتها قراءة الأدب، فهى أهم أبواب المعرفة، وتعلم الطفل كيف يدرك معانى الكلمات من السياق، وتعلمه كيف يختلف معنى اللفظ باختلاف العبارة، فيعرف المعانى المتعددة للكلمة، ويستطيع التمييز بين الأفكار الرئيسية والفرعية، وإدراك اتجاهات الكاتب، ويتعلق بالألفاظ الجميلة والعبارات الخلابة.

ويمكن استخدام بعض التدريبات اللغوية لتنمية الثروة اللغوية، مثل التدريب على استعمال اللفظة فى جملة، ومثل التعبير عن المدلول الواحد بعدد من الألفاظ، أو التعبير باللفظة الواحدة على أكثر من مدلول أو التنويع فى استخدام اللفظة داخل أنواع مختلفة من الجمل، أو استخدام العلاقات المختلفة بين الكلمات، مثل علاقات التطابق والتضاد والتناظر.

ويمكن المضى بعد ذلك فى تنمية الثروة اللغوية للطفل بتدريبه على استخدام قواميس اللغة التى تكسبه فيضًا من المفردات، أو دعوتهم إلى الكتابة فى موضوعات محددة، أو القول فيها بما يبرز قدرته اللغوية ويزيد محصوله من ألفاظ اللغة.

رابعًا : غاية تذوقية :

العمل الأدبى إبداع جمالى فى المقام الأول، يخاطب حاسة الذوق فنيًا، ويدربها، وينميها. ومن ثم فإن الذوق هو الوسيلة الأولى لإدراك مواضع الجمال والقيمة فى العمل الأدبى.

وبالذوق يستطيع الطفل إدراك الفرق بين لفظ وآخر فى التعبير عن المعنى أو التأثير فى المستمع، فيتعلم حسن اختيار الألفاظ، ودقة مناسبة الكلمة لما يريد التعبير عنه، وقوة أثر الكلمة فى المتلقى، ومن هنا تأتى أهمية النظم، ذلك لأن قوة الكلمة وتأثيرها إنما يأتى من علاقاتها مع أخواتها فى سياق معين، يتضح فيه المعنى والعاطفة، وتؤدى فيه اللفظة دورًا متميزًا، فحين نتحدث عن جمال اللغة أو الأسلوب، فلابد أن نشرك فى ذلك المعانى والعواطف، لأن اللغة لا يمكن الإعجاب بجمالها مفردة، وإنما تعد اللغة جميلة وبالغة حد الكمال بمقدار تعبيرها عن المعانى والعواطف. ولذا يوصف الأسلوب بالقوة أو الرقة. ومن أمثلة الأسلوب القولى وصف الشاعر لنفسه يهاجم أسدا :

وأَطْلَقْتُ المهنَّدَ عن يَمينى   فَقَدَّ لهُ منَ الأَضْلاَعِ عَشْرا

فَخَرَّ مُضَرَّجًا بدَمٍ، كأنِّى   هَدَمْتُ بـه بناءً مُشْمَخِرًا

فقوة المعانى والعاطفة ظهرت لنا فى قوة الألفاظ، وفى تحديد الصورة وقوة أثرها فى النفس، فكانت الألفاظ صاحبة ذات ضجيج ودوى يناسب معركة بين إنسان وأسد، ويناسب شجاعة الإنسان وقوة ضربته فى

الأسد الذى تمزقت أضلاعه وتهاوى كبنـاء ضخـم سـقط فجـأة، فـأحدث دويًا هائلاً.

والذوق عنصر مركب، تدخل فـى تكوينـه عنـاصر عديـدة، لكنـه وسـيلتنا لإدراك كثـير مـن الخصـائص الفنيـة للنـص الأدبـى، تلـك التـى لا نستطيع إدراكها بالنظر أو بالعقل المجرد، ذلك لأن الصلات العضويـة التـى يصنعها الأديب، والتراكيب الفنية التـى يـأتى بهـا مـن شـأنها أن تقـدم لنـا نتاجًا فنيًا جديدًا، نعرفه ونستدل عليه ونلذ به ونستمتع بواسطة الذوق.

إذا أخذنا مثلاً من اللغـة نقـول إن كلمـة "الشـفق" حـين نسـمعها تصرف الذهن إلى صورة معينة نعرفها جميعًا ونستطيع أن نتخيلها فـى يسـر وسهولة بكل مـا فيهـا مـن فتنـة وجمـال. كمـا أننـا لـو اسـتخدمنا كلمـة "الموت" فإن الذهن ينصرف إلى معنى ودلالة على قدر هـائل مـن التحديـد على نحو قد لا نخطئه. لكن حين يصنع لنا الأديب تركيبة معينة مثـل قولـه "الشفق الميت" فإن هذه التركيبة قد أتـت بظـلال وخصـائص فنيـة لم تكـن موجودة فى كل عنصر منفرد من عنصريها، ومن هنـا نسـتطيع أن نسـتدل على هذه الخصائص الجديدة بواسطة عنصر الذوق ولا نسـتطيع أن نحددهـا بمعاييرنا الأخرى.

من هنا كانت أهمية تكويـن وتنميـة الـذوق الرفيـع السـامى لـدى الطفل ولا يتحقق له ذلك إلا بمعاشرته للنصوص الأدبية الجيدة، وتحليلها لـه ليقف على ما فيها من خصائص المتعة والجمال.

وأيضًا فإن «نطق الكلمة في ذاته هو قوة مؤثرة بما له من وقع وإيقاع يستثير المشاعر ويؤثر في السلوك الإنساني، لا سيما عندما تشكل الكلمة لبنة في سياق أو نسق فني، مما يثرى دلالتها، ويضاعف من إشباع معناها في هذا السياق»[1].

خامسًا : غاية وجدانية :

إذا خاطب النص الأدبي وجدان الطفل فإنه يكون قادرًا على تنمية مشاعره وأحاسيسه، وتهذيب وجدانه، والتخفيف من توتراته النفسية وانفعالاته، وإكسابه المتعة والسعادة، وإبراز مواهبه الأدبية وتنميتها، ويغرس فيه حب القراءة والاطلاع على الآثار الأدبية الجيدة.

وحين يتعود الطفل على عرض الأعمال الأدبية أمام الآخرين، أو قراءتها قراءة جهرية فإنه بذلك يكتسب القدرة على مواجهة المواقف المختلفة، وتحل عقدة لسانه وتختفي لديه دواعي الخجل.

إن مخاطبة نفسية الطفل ووجدانه غاية مهمة، لكن المقصود بها هو السمو بالطفل واستثارة عواطفه النبيلة، وإبراز مواهبه وقدراته، وترقيق مشاعره ووجدانه. وليس استثارة غرائزه ورغباته.

فالعمل الأدبي الجيد يثير فينا كل القيم النبيلة، ويكسبنا مشاعر لم يكن لنا بها عهد، فالإحساس بالفخر، والبطولة، والفداء، وإغاثة الملهوف، ونجدة المستغيث، هذه كلها مشاعر يمكن أن يثيرها فينا العمل الأدبي الجيد،

---

[1] سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص ١٧.

فالعاطفة أساس من أسس الأدب، وهى التى تجعله خالدًا، لأن استخراج معانى الحياة والتعبير عنها، تأكيد لقوة العاطفة التى هى العنصر الظاهر فى الأدب.

واستثارة العاطفة والوجدان أمر يتصل بالخيال الذى هو خصيصة إنسانسة تقف وراء كل إبداع جديد وجميل. والخيال أحد القدرات الكبيرة لدى الأطفال، وحين نقدم للأطفال أدبًا يلمع فيه الخيال ففى ذلك استثمار لأحد عناصر شخصية الطفل لنقدم له عملاً يعجبه، إضافة إلى أن الخيال نزهة للعقل ونشاط فى اتجاه جديد غير اتجاه الالتزام المنطقى، وفى الخيال تحقيق للتوازن النفسى للطفل، ومحاولة لاحتياز عقبات الواقع وتشكيل الحياة على نحو جديد، وأيضًا فإنه وسيلة مثلى للتعبير عن الأفكار بطريقة محببة.

ولابد أن يكون الخيال فى أدب الطفل خيالاً بناءً يدفع ناحية الأحسن والأفضل فى الأفكار والصور وغيرها.

وتختلف درجة الخيال وقوته باختلاف عمر الطفل، كما أنه قد يختلف من طفل إلى آخر فى السن ذاتها، ويظهر ذلك فى قدرات الأطفال على تجسيم الأفكار وتشخيصها، وفى اختلاقهم للوقائع والذرائع، أو محاولة الاتصاف بأشياء غير ممكنة عقليًا.

ويحسن أن يبتعد الخيال عن الأشياء المخيفة والمفزعة للأطفال لأن فى ذلك آلامًا نفسية وأضرارًا لا تحد، وإنما ينبغى توجيه الطفل ناحية النافع

والمفيد، مع ضرورة أن نشرح له الممكن وغير الممكن فيما يقرأ أو يرى من أعمال خيالية قد تبتعد كثيرًا عن الواقع.

سادسًا : غاية أخلاقية :

ذكرنا أن لأدب الأطفال أهدافًا معرفية تزيد خبرة الطفل ببيئته وبمجتمعه، وتمكنه من التعامل مع هذا العالم الجديد عليه وفق قوانينه وضوابطه، وهى القواعد الأخلاقية والقيم والتقاليد التى يحرص عليها هذا المجتمع، وتمتد به من تراثه إلى حاضره، ومعرفة الطفل بهذه القيم فيه بناءٌ له على أساس قويم، وحصانة له من الزلل والانحراف وحماية لفطرته البريئة.

فأدب الأطفال يبنى النفس السوية المتوازنة التى تبتعد عن الانفعالات العاطفية الشديدة، والقلق والتعصب، ويغرس فيه محبة الوالدين واحترامهما، ومحبة الكبير واحترامه، ويعلمه الطاعة والسكينة، وحب الآخرين والتعاون معهم، ويخلصه من الأنانية والطمع والجشع، ويربطه بالآخرين فيتعود التعاون والتآخى، ومبادلة الناس المودة والاحترام، ويحرص على صلة ذوى الأرحام ومحبتهم، وحسن الخلق، وعدم التكبر، ومعرفة حقوق الآخرين كالجار، وعدم الغيبة والكذب. كما أن قراءة القصص التاريخية تعلمهم البطولة والفداء والتضحية فى سبيل الوطن والواجب.

وهكذا يمكن لأدب الأطفال أن يمد صغارنا بكثير من القيم النافعة، ويغرس الفضائل فى نفوسهم مثل الصدق، والشرف، والإخلاص، والمروءة، والشجاعة، والاتحاد، والتعاون، والوفاء، والكرم، والعفة، مما

يهذب نفوسهم، ويدفعهم إلى تحقيق هـذه القيـم فـى حيـاتهم الاجتماعيـة، فتقوى صلتهم بمجتمعهم، وينمو الوعى الاجتمـاعى لديهـم، «وعـن طريـق هذا اللون من أدب الأطفال ينمو الصغير من حالة التمركـز حـول ذاتـه إلى كائن اجتماعى يتمركز حول الآخرين»[1].

ويتحول الصغير مـن الفردية إلى المشـاركة الوجدانيـة والإحسـاس العقلى بشعور الآخرين، فيكون طفلاً اجتماعيًا.

إن من واجـب أدب الأطفـال أن يحمـل عصـارة خـبرات وتجـارب الآبـاء والأمهـات، وأن يصبهـا فـى وعـاء الطفولـة الغض، وكـاتب أدب الأطفال أب أو أم، «وأدب الأطفال بقصصه وحكاياتـه وترانيمـه وأغنياتـه وأساطيره وفكاهاته لا تخرج عن هـذا القـانون الطبيعى»[2] فـالأدب يمتـع، ويلذ، ويطهر النفس، ويسمو بالخيال، ويسمو بالمشاعر، ويغذى العواطـف النبيلة، ويثير فينا أحاسيس العظمة والقوة والتميز، ويزرع فينـا ألـف زهـرة جميلة وقيمة عظمى.

الأدب لا يعلـم ولا يعـظ بشـكل تقريـرى أو مباشـر، لكنـه يحقـق الهدف السامى نفسه بوسائله الفنية الخاصة التـى تجعلنـا نسـلم إليـه نفوسـنا وأرواحنا فى عناق حميم وسعادة غـامرة، ثـم نكتشـف بعـد ذلـك أنـه قـد تغيرنا كثيرًا.

---

[1] على الحديدى، أدب الأطفال، ص ٦٢.

[2] السابق، ص ٣٩.

وسائط أدب الأطفال :

ليست وسيلة تحصيل الأدب هي القراءة فقط، بل إن هذه الوسائل قد تعددت وتنوعت، و لم يعد الكتاب وحده هو صاحب السيادة في أدب الطفل، ومع زيادة التقدم العلمي، وتنوع وسائل الاتصال والتأثير، تعددت وسائط الأدب ونواقله، ومنها :

أولاً : وسائط سمعية :

وهي تلك التي تخاطب حاسة السمع -فقط- في الطفل دون غيرها من الحواس، مثل المذياع، وشرائط الكاسيت، والاسطوانات فهذه وسائط مهمة للاتصال بالطفل ونقل الآثار الأدبية والفنية إليه، كما أنها وسيلة مثلى لمخاطبة الطفل الذى لا يجيد الكتابة والقراءة في مرحلة ما قبل المدرسة، وعن طريقها يمكن تقديم كل الأنواع الأدبية مثل الأناشيد والأغاني والقصص والتمثيليات وغيرها، في أسلوب أدبي يناسب سن الطفل يتسم ببساطة الألفاظ، وسهولة المعاني، وتغرس فيه القيم والمعارف بطريقة جذابة ومشوقة للطفل.

وتتميز الوسائط السمعية -عادة- باستخدام المؤثرات الصوتية والموسيقية إضافة إلى جودة التعبير والالتقاء، مما يحبب فيها الطفل، ويزيد من تعلقه بها. كما أن المادة المسجلة يمكن إعادة الاستماع إليها في أى وقت يشاؤه الطفل ودون حاجة إلى تجهيزات خاصة، أو تكلفة مالية،

ودون ضرورة الاستماع إليها كاملة، فيمكن للطفل أن يستمع إليها على أجزاء، أو أن يكرر الاستماع إلى أجزاء منها.

ولابد للأدب في هذه الوسائط من الاعتماد على صوت أداؤه جيد مؤثر، قادر على نقل المعاني والأحاسيس والخيالات، من خلال الأذن، إلى كل مراكز الفهم والإحساس والانفعال في الطفل.

وبعد أن يدخل الطفل المدرسة يمكن أن تكون الإذاعة المدرسية وسيطًا جديدًا يضاف إلى ما سبق.

ثانيًا : وسائط بصرية :

وهي تلك التي يستخدم فيها الطفل عينه -فقط- للاتصال بها والدخول إلى عالمها، وهي صحف ومجلات الأطفال، وكتب الأطفال، والصحافة المدرسية. وتستطيع هذه الوسائط أن تقدم المادة الأدبية للطفل بشتى أنواعها، لكن هذه الصلة لا تتحقق بغير القراءة، التي تعد أهم أدوات العلم والثقافة والمعرفة. ولعل أول أمر إلهي ورد في القرآن الكريم هو قوله تعالى لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

والقراءة لا تكون إلا لعمل مكتوب في ورقة أو صحيفة مثل الكتاب أو المجلة أو صحيفة الحائط، والقراءة ضرورة علمية وثقافية وتعليمية للطفل، فبها وحدها يعرف الطفل لغته ويتلقى علمه، ويبني معارفه، ويطلع على تراثه، ويلم بما جرى ويجري في أطراف الدنيا.

لكن القراءة تشجع عليها وتنميها وسائل أخرى جاذبة للطفل، مثل الإخراج الفنى للمطبوع، واستخدام الألوان والصور والرسوم، وتنوع الأشكال والأحجام، وطريقة الكتابة، وتنوع أحجام الحروف، وتنظيم العناوين، ولذا راح الناشرون يتفننون فى هذا مستخدمين كل الوسائل والأدوات لجذب الطفل، ومنها الرسوم والصور التى يشغف بها الطفل، وتستعمل كرموز لغوية لنقل الأفكار المختلفة، «كما أن الرسم والصورة يعدان لغة مقروءة لكل من الأمى والمتعلم على حد سواء، بل العربى والعجمى، فلو رسمت حمامة رسمًا واضحًا جميلاً وعرضتها على طفل عربى يقرأ أو يكتب وطفل لا يعرف القراءة والكتابة لتساويا فى فهم مدلولها اللغوى»[1]. لذا كان مهمًا أن يفكر الأديب والرسام معًا فى رسوم العمل الأدبى حتى يتحقق الاتصال الحميم بين الكلمات والصور، ويظهر التكامل والانسجام بينهما، فيكونان معًا عملاً فنيًا متكاملاً. لذلك كان للألوان دور مهم فى جذب الطفل إلى الكتاب، كما أن درجة التناسق بين الألوان، ومناسبتها لمراحل نمو الطفل وبيئته الاجتماعية لها أثرها فى نفس الطفل والتعبير عن المدلول اللغوى.

وينبغى استخدام علامات الوقف والترقيم فى الكتابة، ليعرف الطفل قواعد الكتابة العربية، ويمتلك مهارات القراءة الجيدة.

وهناك كتب مصورة تعتمد على الصورة اعتمادًا كليًا أو كبيرًا، وهى أكثر أنواع الكتب مناسبة للطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة، إذ يمكن

---

[1] أحمد حنوره، أدب الأطفال، ص ٢١٧.

أن يتلقى الطفل بها عملاً قصصيًا كاملاً يتابعه متسلسلاً من خلال الصورة، ويضع لها بعض الكلمات. وكلما ارتقت مداركه كان للكلمة نصيب كبير فيما يتناوله من أعمال أدبية.

ثالثًا : وسائط بصرية وسمعية :

وهى التى يستخدم فيها الطفل حاستى السمع والبصر مثل برامج التليفزيون، ومسرح الطفل، والمسرح المدرسى، والمناظرات الأدبية، واللقاءات الأدبية من كتاب أدب الأطفال، وغيرها. وغنى عن القول إن الكلمة يكون لها سحرها وتأثيرها العميق فى الطفل إذا اقترنت بالصورة. ولقد «ثبت أن ثقافة الطفل يتم تحصيل ٩٠٪ منها من خلال العينين، والباقى من الأذنين»[١].

ويجب على القائمين على هذه الوسائط أن يكونوا عارفين بأهمية وإمكانات ما لديهم من وسائل، فنوع الوسيلة هام، وطريقة استخدامها أهم. ويجب أن تشحذ هذه الوسائل ذكاء الطفل وتنميه، وتثير خياله، وتوسع آفاقه بالكلمة والصورة واللحن والحركة، بما يأخذ بيده إلى المعرفة، ويشده إليها. فهى لغة أخرى غير الألفاظ، لكنها تضاعف من أثر لغة الألفاظ عند الطفل، وتزيد الأفكار وضوحًا وتجسيدًا.

وهذه الوسائل الفنية المصاحبة للغة تؤدى إلى إثراء الفكرة وإمتاع الوجدان، وتسهم فى بناء الطفل فكريًا ونفسيًا، «كما يستطيع الطفل

---

[١] عبد التواب يوسف، عن أدب الطفل، ص ١٥١.

بفضل التحسيد والعوامل المثرية له أن يتخيل صورًا جديدة مركبة تجعل إدراكه للمعنى أكثر دقة، وفهمه أكثر عمقًا، واستيعابه أشد إلمامًا وإحاطة»[1] . ونثرى فاعلية العمل الأدبى بالنسبة للطفل.

«ويستطيع التحسيد الفنى أن يقرب المعنويات فى صورة محسوسة سواء تم ذلك عن طريق اللغة أو الوسائل المعينة، مما يقرب كثيرًا من المفهومات المعنوية، والمجردة إلى أذهان الأطفال، كالشجاعة، والحب، والإيثار، والتعاون، والوفاء، ورد الجميل. وغير ذلك من المبادئ والقيم التى تزخر بها التعاليم الدينية»[2] .

والصوت عندما تستقبله حاسة السمع يستثير صورًا ذهنية فى العقل، لكن مصاحبة الألوان أو الصور أو الرسوم أو الحركات للكلمات فى الفنون الأدبية المختلفة، مما يستثير اهتمام الأطفال، ويجعلهم يعنون بالتفصيلات، كما أن الصور تنطبع فى أذهانهم، وبها يغنى النص، ويتضاعف إيحاؤه[3] .

وأيضًا فإن التوازن بين النص الأدبى والعناصر الفنية المصاحبة هام وضرورى، فالتمتع بالصورة جزء من القصة، وليس هدفًا فى ذاته.

وهناك حقيقة لا يمكن إغفالها، وهى خطورة اعتماد محطات التليفزيون العربية على الرسوم المتحركة الأجنبية، التى تجسد قصصًا

---

[1] هادى نعمان، ثقافة الأطفال، ص ١١٦.

[2] سعد أبو الرضا، النص الأدبى للأطفال، ص ١٧.

[3] السابق.

مستوحاة من بيئات أخرى وقد لا تنسجم مع تقاليدنا وأعرافنا، وتنشر أفكارًا وحركات غير مألوفة احتماعيًا، وتتناقض مع التراث والقيم المحلية. ونحن نريد طفلاً قادرًا على التفكير والتعبير، فيجب أن يصير التليفزيون «أداة ثقافية قادرة على صنع حياة جديدة لأطفالنا، ويمكنها أن تحدث تغييرًا شاملاً فى أسلوب تفكيرهم ليواكبوا العصر»[1].

(1) عبد التواب يوسف، عن أدب الأطفال، ص ١٤٦.

مصادر أدب الأطفال

المصادر التى يمكن أن يستقى منها أديب الأطفال مادته الأولى للكتابة كثيرة ومتنوعة. وهى جميعًا تؤثر فى الكاتب وينهل منها ليتحقق لإبداعه النجاح والصيرورة، وعليه أن يذكر دائمًا أنه يكتب لطفل بعينه فى بيئة بعينها، وأن لهذا الطفل قيمه وتراثه وتقاليده ولغته التى ينبغى الحفاظ عليها. ومن هذه المصادر :

أولاً : القرآن الكريم :

وفيه متسع لمن شاء الثراء الفنى والموضوعى، ففيه القصة القرآنية التى تجسد القيم المثالية مثل الصبر، والثبات على المبدأ، والتضحية، والفداء، والدفاع عن الحق، ونصرة المظلوم، وغيرها، بما يشبع حاجات الأطفال ويغذى اهتماماتهم ويرضى اتجاهاتهم.

ويمكن للقصص القرآنى إذا أحسن استثماره فنيًا، وتوظيفه فكريًا وثقافيًا فى هذا المجال، أن يستثير لدى الأطفال من الخيال ما ينمى لديهم هذا الاتجاه، فيعينهم على إذكاء تصوراتهم، واستحضار كثير من الصور التى تنمى خيالهم، مما يساعدهم على حسن مواجهة الحياة بمشكلاتها، والتفكير السليم فى قضاياها، والتمتع بمظاهر الجمال السوية فى الحياة[1].

ويمكن لكاتب أدب الأطفال أن يستعين بأخبار الرسل -عليهم السلام- والسابقين، وهى كثيرة فى القرآن الكريم، لتكون مادة لقصص

---

[1] سعد أبو الرضا، النص الأدبى للأطفال، ص ٣٨.

فنى للأطفال، تمتع وجدانهم وتثرى فكرهم فى مراحل عمرهم المختلفة، «وهنا نلفت النظر إلى ما فى القرآن الكريم من سلاسة العرض وتنوعه، وبساطة العقدة، ومنطقية حلها وفنيته، وهى جوانب بنائية، حبذا لو أحسن الامتداد بيسرها وبساطتها واستثمارها فى الأشكال الفنية المختلفة التى تؤلف لأدب الأطفال، فى مستوياته المتعددة»[1].

وقد سعى عدد من الكتاب إلى الإفادة من هذا الجانب، فكتب أحمد شوقى عن سفينة نوح، ومعرفة سليمان عليه السلام لغة الطير. وصدرت مجموعات "قصص الأنبياء" و"قصص القرآن للأطفال" و"قصص الأنبياء للأطفال" و"قصة وآية" و"أركان الإسلام" وغيرها كثير، وهذه جميعًا تهدف إلى تركيز القيم الدينية والأخلاقية فى نفوس الصغار، وصقل إحساسهم بالجمال.

ثانيًا : السيرة النبوية والحديث الشريف :

وفيهما غناء كبير لمن شاء أن يمتاح من هذا المنهل الثرى، لما يتضمنانه من أحداث وبطولات ومبادئ وقيم، فالسيرة النبوية تعرض كثيرًا من صفات الرسول -صلى الله عليه وسلم- كالصبر والحكمة والتواضع والأمانة وصحبة الناس، وتبين الرسول الكريم نموذجًا أخلاقيًا إنسانيًا، وفى ذلك بناء لمعرفة الطفل.

---

[1] السابق، ص ٣٨.

ولقد صدرت مجموعات قصصية مثل "مجموعة أمهات المؤمنين" و"خير البشرية" و"سلسلة المسرح الإسلامى للناشئة" و"لمحات من حياة الرسول". كما صدرت سلاسل متعددة تحاول تبسيط سيرة الرسول الكريم، إضافة إلى سلاسل أخرى مثل سلسلة "كتاب المسلم الصغير" وسلسلة "واجبى" وغيرها، وهى جميعًا تحاول أن تفيد من السيرة النبوية والسنة المطهرة لتقديم زاد معرفى وثقافى للأطفال يزكى نفوسهم، وينمى عقولهم، ويلفتهم إلى القدوة والمثل الذى ينبغى أن يطمحوا إليه، ليكونوا صالحين نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم.

ثالثًا : التراث الأدبى :

يعد التراث العربى من أعظم ما يعتز به العربى بسبب كثرته وتنوعه وغزارته، وفى هذا التراث كثير مما يناسب أطفالنا، بشرط أن نختار لهم ما يتفق وميولهم واستعداداتهم، ومرحلتهم السنية، وقدراتهم اللغوية والعقلية.

إن نصوص التراث الأدبى عامرة بالخصائص الفنية الجيدة، والأساليب العربية الرائعة، إضافة إلى التصوير المعجب، وفيها أفكار جيدة علينا أن ننتقى منها ما يناسب عصرنا وما طرأ على مجتمعاتنا من تطور.

إن الاستلهام من التراث يعنى أن نربط الماضى بالحاضر، ونصل الثمار بالجذور، وفى هذا ما يجعل الطفل يؤمن بأصالة فكره، ويدرك مدى اسهام أجدادنا فى الثقافة والحضارة الإنسانية.

ولقد عالج الدارسون أشكال التراث وأنواعه، ورأوها تتوزع إلى[1]:

١-التراث الديني : ويدور حول شخصيات الأنبياء ومن حولهم.

٢-التراث الصوفي : ويعبر عن تجربة ذات خصائص محددة، أنتجت لنا أدبًا مميزًا.

٣-التراث التاريخي : ويضم أحداث وشخصيات تاريخية مثل القادة والملوك والمعارك وغيرها.

٤-التراث الأدبي : وهو مجموع الشخصيات المبدعة وإنتاجها الباقي.

٥-التراث الشعبي : كالأغاني الشعبية والسير الشعبية وكتب الحكايات.

٦-التراث الأسطوري : كالأساطير التي كانت أساسًا لأعمال أدبية كبرى.

وليس استخدام التراث في أدب الأطفال زينة أو ترفًا، أو رغبة في الاختلاف أو التميز، ولا مجرد وفاء للماضي، بل إنه وعي بالذات، ورغبة في وجود متميز في حياة جديدة.

ولقد تعددت وتنوعت مفاهيم استخدام التراث في أدب الأطفال، ويمكن إجمالها في[1] :

---

[1] د. علي عشري زايد، الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.

١- الاستلهام :

ويعنى إبداع عمل أدبى جديد يستند فى شكله أو محتواه، أو فى الاثنين معًا إلى التراث.

٢- الإعداد أو الاقتباس :

يعنى إعادة سبك عمل أدبى من نوع معين لكى يتفق مع نوع أدبى آخر مثل أن تعاد كتابة سيرة تاريخية فى ثوب قصصى.

٣- التحويل :

نقل مادة أدبية إلى جنس أدبى آخر، مثل تحويل خبر أو مثل أو نادرة، إلى قصيدة أو قصة، وغالبًا ما يكون ذلك على سبيل التعليم أو التلقين.

٤- التقديم :

ويعنى اختيار أعمال أدبية لتقديمها إلى الجمهور على سبيل الشرح أو التعريف، مثل اختيار شاعر كبير وتقديمه إلى الأطفال وتعريفهم بشعره، بطريقة تناسب قدرة الصغار.

٥- الاستدعاء :

وهو استحضار شخصيات وأحداث وفترات تاريخية فى عمل أدبى حديث.

---

(١) د. عبد الله أبو هيف، استحداث التراث فى أدب الأطفال، ص ٨.

٦- التضمين :

إن الكاتب في عمله نصًا قديمًا، أو شحنة تراثية تقيم علاقة حديدة داخل العمل الأدبي، فيصير التراث بذلك عنصرًا أساسيًا فـي إبـداع العمـل الأدبي الجديد.

ولا ينبغي أن ينصرف الذهن إلى أن صلتنا بالتراث تعني أن فيـه مـا يمكن تقديمه إلى الأطفال بالطرائق التي أسلفنا، بل إن الـتراث العربـي عـامر بما وجه إلى الطفل مباشرة بقصد الإفادة، وورد ذلك في كثير من كتابـات المعاصرين[١] ومن ذلك :

كان عمرو بن كلثوم -الشاعر الجاهلي المعروف- من المعمرين، إذ قيل إن عمره بلغ خمسين ومائة عام. ولا شك في أن هـذه السن أكسبته خبرة ودربة في أمور الحياة، جعلته بصيرًا بها، خاصة وهو الرجـل المغـامر، المعتز بنفسه وقبيلته، إذ رفض الضيم، وتحدى الملك عمرو بن هنـد وعـرَّض به حينما أراد أن ينال أمه بالأذى والهوان، فقـال معلقتـه المشـهورة، ومنهـا بيته الذي لا يزال يتردد على الألسنة :

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا

شاعرنا هذا جمـع بنيـه، عندمـا حضرتـه الوفـاة، وأراد أن يوصيهـم بخلاصة تجاربه في هذه الرحلة الطويلة مع الحياة، وإذا بها سبع عنده. أولها

---

[١] راجع كتاب د. محمد حور، تربية الأبناء في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، الطفـل والـتراث مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم.

أن يكف أبناؤه عن تعيير الآخرين، وذلك أنه وجد نفسه لم يعير أحدًا بشيء إلا عُيِّر به، حقًا كان أم باطلاً، وثانيها الإحسان إلى الجار، وثالثها منع ضيم الغريب، ورابعها حسن الاستماع للآخرين والإيجاز في الكلام معهم، وخامسها الشجاعة والإقدام، وسادسها التروى عند الغضب، وسابعها الزواج من خارج حيهم، انظره يخاطبهم بقوله : «يا بني، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي ولابد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت، وإني والله، ما عيرت أحدًا بشيء إلا عيرت بمثله، إن كان حقًا فحقًا، وإن كان باطلاً فباطلاً، ومن سَبَّ سُبَّ، فكفوا عن الشتم، فإنه أسلم لكم، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم، وامنعوا من ضيم الغريب، فرب رجل خير من ألف، وردّ خير من خلف، وإذا حُدِّثتم فعوا، وإذا حَدَّثتم فأوجزوا، فإن من الإكثار تكون الأهذار. وأشجع القوم العطوب بعد الكر، كما أن أكرم المنايا القتل، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا من عوتب لم يعتب. ومن الناس من لا يرجى خيره، ولا يخاف شره. فبكؤه خير من دره. وعقوقه خير من بره، ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدى إلى قبيح البغض»[1].

وكان ذو الإصبع العدواني من سادات العرب في الجاهلية، وكان شاعرًا مقدمًا، صرف شعره للفخر والحماسة والحكمة. وغلبت على شعره السهولة والرقة، على الرغم من كونه من قدماء شعراء الجاهلية. وهو من

---

[1] الأغاني ١١ : ٥٣ - ٥٤ والأعتاب : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب. والأصل البكء : قلة اللبن وانقطاعه، والمعنى المراد، فمنعه خير من عطائه.

أصحاب الوصايا المشهورة فى النثر الجاهلى. وأبرز وصاياه وصيته لابنه أسيد الذى أراده سيدًا من بعده، يسير على خطاه، ويحفظ سيرته التى سارها فى قومه : سيادةً، وشجاعة، وحلمًا. ولذلك لحظناه يقول له : «يا بنى إن أباك قد فنى وهو حىّ، وعاش حتى سئم العيش، وإنى موصيك بما إن حفظته، بلغت فى قومك ما بلغته. فاحفظ عنى : ألن جانبك للقومك يحبوك. وتواضع لهم يرفعوك. وابسط وجهك لهم يطيعوك. ولا تستأثر عليهم بشىء يسوّدوك. وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم. واسمح بما لك. وأحم حريمك. وأعزز جارك. وأعن من استعان بك. وأكرم ضيفك. وأسرع النهضة فى الصريخ، فإن لك أجلاً لا يعدوك. وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا. فبذلك يتم سؤددك». هذه هى وصية ذى الإصبع العدوانى التى تناقلتها كتب الأدب، وهى وصية لا تختلف فى جوهرها عن كثير من الوصايات التى عُنى بها سادات العرب لأبنائهم. لكن ذا الإصبع لا يتوقف عند هذا الحد، وكأنه رأى أن هذه الوصية لا يتحقق لها النجاح إلا إذا أعاد صياغتها فى قالب فنى آخر هو الشعر، وبذلك يتحقق لها أمران : أحدهما سهولة حفظها، والثانى -وهو مترتب على الأول- أن تكون دستورًا للناشئة فى كل زمان ومكان، يقرءونها، ويحفظونها، وتكون هاديًا لهم فى حياتهم المقبلة. أعاد ذو الإصبع صياغة وصيته لابنه شعرًا، وإذا بها لوحة فنية جميلة محببة للنفس، سهلة، تمتلىء بالقيم والمثل، وتجمع بين المتناقضات التى يظهر بها سمات القيم السامية، وخصائص

السلوك المشين. فالأب يدعو ابنه إلى أن ينفق ماله في الطرق الصحيحة التي يجني بها الخير للآخرين والذكر الطيب له، ويدعوه إلى أن يختار صحبه من الكرام ذوي السيرة الحميدة والسلوك الحسن، وأن يبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس حتى وإن أدى ذلك إلى أن يقدم حياته ثمنًا لذلك. وبالمقابل فإنه دعاه إلى أن لا يتهاون مع اللئام أو أن يلين جانبه لهم لأنهم لا يستحقون هذا من جهة، ولأنه لن يأمن غدرهم من جهة ثانية. وحثه على أن لا يلتفت للجبناء والبخلاء، الذين تطول حياتهم ويكثر مالهم، لأنه لا قيمة للحياة بلا كرامة ولا قيمة للمال إن لم يوظف لإنفاقه في طرق الخير، وتقديمه معونة للمحتاج. ولا ينسى ذو الإصبع العدواني أن يوجه ابنه إلى أهله وعشيرته بتقوية روابط المحبة بينه وبينهم، وأن لا ينساهم وإن بعدت المسافات، لأنهم أهله الذين يشدون أزره، ويحفظون وده. هذه هي المعاني التي اشتملت عليها القصيدة، ولا نجد كبير فرق بينها وبين معاني وصيته، ولكن شتان بين الاثنين من حيث الوقع على النفس، والتأثير في النشء، فالوصية تحمل الطابع الوعظي الإرشادي، أما القصيدة فإنها تحمل صورة الفن وإن أثرها يكمن في الاستيعاب والاستزادة في القراءة، لأنها تدعو للتأمل والتفكير من قبل المتلقي، وهذا بدوره يقود إلى تحقيق الغرض الذي أعدت من أجله، ولا أخالني أبعد عن الصواب إن قلت إن هذه القصيدة تعد من صميم أدب الأطفال الذي يقدم لأطفالنا اليوم، كما قدمت لأطفال الجاهلية، قال ذو الإصبع العدواني :

أأســـيد إن مالاً ملكتَ

فســـر به ســـيرًا جميلاً

آخ الكـــرام إن استطعـ

ت إلى إخائهـم ســبيلا

واشـــرب بكأسهم وإن

شـــربوا به السم الثميلا

أهــن اللئـــام ولا تكن

لإخائهم جمـــلا ذلـــولا

إن الكـــرام إذا تـــوا

خيهم وجدت لهم فضولا

ودع الذى يعد العشيـ

رة أن يســيل ولن يسيلا

أبُنـــى إن المـــال لا

يبكـــى إذا فقد البخيلا

أأسيد إن أزمعت من

بلـــد إلى بلـــد رحيلا

فاحفظ وإن شحط المزا

ر أخا أخيك أو الزميلا

واركب بنفسك إن هممـ

ت بها الحزونة والسهولا

وصل الكرام وكن لمن

ترجو مودته وصولا

ودع التوانى فى الأمو

ر وكن لها سلسًا ذلولا

وابسط يمينك بالندى

وامدد لها باعًا طويلا

وابسط يديك بما ملكـ

ت وشيِّد الحسب الدخيلا

وابذل لضيفك ذات رحـ

لك مكرما حتى يزولا

واحلل على الأيفاع للعا

فين واجتنب المسيلا

وإذا القـــروم تخاطـــرت

يوما وأرعــدت الخصيلا

فاهصر كهصر الليث خضـ

ب من فريســـته التليلا

وانــزل إلى الهيجـــا إذا

أبطالـــها كرهوا النزولا

وإذا دعيــــت إلى المهـمـ

م فكن لفادحه حمولا[1].

إنها روح دعوة عمرو بن كلثوم، يضاف إليهـا دعـوة ذى الإصبع العدوانى لابنه إلى أن يكون سيدًا، وما تتطلبه هذه الدعوة من مهام. وأيـة مهام ؟ إنها المهام التى تكلف صاحبها جهدًا، وبذلاً لا يتحمله إلا الأقلون، وتتطلب منه جلدًا وحنكة، قلما تمتع بها غـيره. وهـى مهـام السيد الـذى يذوب فى الذين يسودهـم، أو قل يذوب فى سبيلهم وينفق ماله لتتوفر لهـم سبل رخائهم وترفهم. دعوة ليس فيهـا مكـر ودهـاء، بقـدر مـا فيهـا مـن حكمة ووفاء.

---

[1] الأغانى ٣ : ٩٨ - ٩٩.

والسم الثميل : المنقع الذى أنقع أيامًا حتى اختمر، والحزونة : غلاظ الأرض. والقروم : السادة العظام. والخصيل مفردها الخصيلة : كل لحمة فيها عصب. والتليل : المصروع.

وهناك مثل آخر لهذا النهج الذى رسمه الآباء لأبنائهم، من العصر الأموى، جسده عبد الله بن شداد لابنه، ولكل الأطفال، حين حضرته الوفاة. وقد زاوج فيه ابن شداد بين الشعر والنثر. بث ابنه خبراته وتجاربه، وترجمها شعرًا انتقاه من التراث الشعرى الذى يعكس هذه التجارب، وكأنه رأى فى النثر قصورًا، بحيث لا يرقى للدرجة التى يتمتع بها الشعر، لسهولة حفظه، ولأن الأمر كان يقتصر على الرواية حسب. حدث ابن شداد ابنه عن الموت، وأنه لا مفر منه. وعن الإيمان بوصفه خير زاد وعتاد يزود المرء به نفسه، ثم تكلم على المعروف وأثره فى النفوس. وانتقل إلى الكرم ومميزاته، والبخل وآفاته. وعرج على كرم النفس وصونها عن الدنايا. وأشار إلى الحسد وما يخلفه من حزازات وإحن ووصل به إلى الحديث عن العشرة، والفرق بين الرفيق المخلص والمؤتمن، وبين رفيق السوء. وشخص له الحب وطبيعته وحثه على ضرورة الاقتصاد فيه، والبغض وأثره، ودعاه إلى عدم الإسراف فيه. وختم حديثه بدعوته إلى صحبة الأخيار وصدق الحديث، ونهاه عن صحبة الأشرار لأنها عار.

هذه ثمان قضايا اشتملت عليها وصية عبد الله بن شداد لابنه، وهى منهج كامل للأبناء والناشئة تصلح فى كل زمان ومكان. وقد ضمنه ابن شداد ثمانية نصوص شعرية لثمانية من شعراء الجاهلية والإسلام. واللافت للنظر، أن هذه الأشعار اتسمت جميعها بالرقة والسهولة، وابتعدت عن الحوشى من اللفظ، والمستغلق فى التعبير، مما جعلها مناسبة للمقام الذى قيلت فيه، وللمستوى الثقافى للمتلقى الذى تخاطبه، وهو جيل

الأطفال الذين لم تكتمل شخصيتهم الثقافية والفكرية، وكانوا بحاجة إلى هذا القدر من التعبير الذى خاطبهم به عبد الله بن شداد، فقال : «يا بنى، إنى ارى داعى الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقى فإليه ينزع، وإنى موصيك بوصية فاحفظها، عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية فى السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال   ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرًا   وعند الله للأتقى مزيد

ومـا لابد أن يأتى قريب   ولكن الذى يمضى بعيد

ثم قال : أى بنى، لا تزهدن فى معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب؛ فكم من راغب قد كان مرغوبًا إليه، وطالب أصبح مطلوبًا ما لديه؛ واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان؛ وكن أى بنى كما قال أبو الأسود الدؤلى:

وعد من الرحمن فضلاً ونعمة   عليك إذا ما جاء للعرف طالب

وإن امرأ لا يرتجى الخير عنده   يكن هينًا ثقلاً على من يصاحب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبًا   فإنك تدرى متى أنت راغب

رأيت التوى هذا الزمان بأهله   وبينهم فيه تكون النوائب

ثم قال : أى بنىّ، كن جوادًا بالمالِ فى موضع الحق، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق؛ فإن أحمد جُود المرء الإنفاقُ فى وجه البِّر، وإن أحمد بُخْل الحُرّ، الضّنُّ بمكتوم السر؛ وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصارى :

أجود بمكْنُونِ التلاد وإننى　　　بسِرِّكَ عمن سالنى لضنينُ

إذا جاوز الإثنين سر فإنه　　　بنث وتكثير الحديث قمين

وعندى له يوما إذا ما ائتمنتنى　　　كان بسوداء الفؤاد مكين

ثم قال : أى بنى، وإن غلبت يومًا على المال، فلا تدع الحيلة على حال فإن الكريم يحتال، والدنى عيال؛ وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالاً، أقل ما تكونِ فى الباطن مالاً؛ فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنفاد نعمته؛ وكن كما قال ابن خذاق العبدى :

وجدت أبى قد أورثه أبوه　　　خلالاً قد تعد من المعالى

فأكرم ما تكون على نفسى　　　إذا ما قل فى الأزمات مالى

فتحسن سيرتى وأصون عرضى　　　ويجمل عند أهل الرأى حالى

وإن نلت الغنى لم أغل فيه　　　ولم أخصص بجفوتى الموالى

ثم قال : أى بنى، وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها، رجع العيب على من قالها؛ وكان يقال: الأريب العاقل، هو الفطن المتغافل؛ وكن كما قال حاتم الطائى :

وما من شيمتى شتم ابن عمى ... وما أنا مخلف من يرتجينى

وكلمة حاسد فى غير جرم ... سمعت فقلت مرى فانفذينى

فعابوها علىّ ولم تسؤنى ... ولم يعرق لها يوما جبينى

وذو اللونين يلقانى طليقا ... وليس إذا تغيب يأتلينى

سمعت بعيبه فصفحت عنه ... محافظة على حسبى ودينى

ثم قال : أى بنى، لا تواخ أمرأ حتى تعاشره وتتفقد موارده ومصادره؛ فإذا استطعت العشرة، ورضيت الخبرة؛ فواخه على إقالة العثرة، والمواساة فى العسرة؛ وكن كما قال المقنع الكندى :

ابل الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمن فعالهم وتفقد

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى ... فبه اليدين قرير عين فاشدد

وإذا رأيت ولا محالة زلة ... فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال : أى بنى، إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط؛ فإنه قد كان يقال : أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما؛ وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذرى :

وكن معقلاً للحلم واصفح عن الخنا   فإنك راء ما حييت وسـامع

وأحبـب إذا أحببت حباً مقاربًا   فإنك لا تدرى متى أنت نـازع

وأبغـض إذا أبغضت بغضًا مقاربًا   فإنك لا تدرى متى أنت راجع

وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار فإنه عار، وكن كما قال الشاعر:

اصحب الأخيار وارغب فيهم   رب من صاحبته مثل الجرب

ودع النـاس فلا تشـتمهم   وإذا شاتمت فاشتم ذا حسب

إن من شـاتم وغـدا كالذى   يشترى الصفر بأعيان الذهب

واصـدق الناس إذا حدثتهم   ودع الناس فمن شاء كذب[1].

إن هذه الوصايا أخذت بعدًا شموليًـا، وصدرت عن أناس خبروا الحياة، وحققوا مواقع مرموقة فيها، فكانت جديرة بأن تكون مثالاً يحتذى، لما اشتملت عليه من قيم فاضلة، ومناهج للسلوك، وأسلوب رائع فى العرض، صلحت فى عصرهـا، وتصلح فى كل عصر -هى بنصها، أو بمضمونها بعد صياغتها بما يلائم عصرنـا الحاضر، وأى عصر قابل. إنها أدب أطفال، قدم لهم، وخاطب ضمائرهم.

---

[1] الأمالى ٢ : ٢٠٢ - ٢٠٤.

رابعًا : الزمان والمكان :

أكدنا دائمًا أن الأديب الجيد هو ابن زمانه ومكانه، أى ابن بيئته وعصره، فالأديب يصدر عن بيئته بكل ما فيها من موضوعات وقضايا ومشاعر وأحاسيس وآمال وطموح وقصور، وينبغى أن يعبر الأديب عن ذلك جميعًا ليعبر أدبه عن بيئته وليس عن بيئة أخرى، وليربط الأطفال ببيئتهم ويزيد وعيهم بها، فليس مطلوبًا أن يعبر الأديب عن بيئة أخرى بعيدة، ولا أن يعبر عن قيم وتقاليد وأفكار ليست لنا. وإنما ينبغى عليه -كما يعبر بلغتنا- أن يعبر عنا بكل ما نحن فيه أو نحتمل معه من قضايا وموضوعات، وما ينبغى أن نحلق إليه من طموح أو أمل بعيد، فلأديب الأطفال دور تربوى هام فى بناء الأجيال الجديدة. وليس الأدب تسلية أو شغلاً لأوقات الفراغ.

والأمر نفسه فى الزمان، فالأديب ابن عصره وليس ابن عصر آخر، وينبغى أن يعبر عن هذا بكل انجازاته واكتشافاته وتقدمه العلمى، إنه يكتب لأطفال يعيشون الآن وليس منذ مائة عام، وطفل اليوم يعيش فى عصر فيه من اليسر والسهولة والإنجاز والتعقيد والتشابك ما لم يكن لطفل فى القرن الماضى. وهو ما ينبغى أن يضعه الأديب نصب عينيه.

ويدخل فى ذلك أيضًا الترجمة من الآداب الأخرى، فلقد تيسرت سبل الإعلام والاتصال فى زماننا إلى حد كبير، ومن ثم قوى التأثير والتأثر، وفى إبداعات آداب الأمم الأخرى ما يمكن أن يمتع أطفالنا ويلذهم

ويفيدهم كثيرًا، فلا بأس أن ينهض الأديب بذلك، ويقـدم إلى أطفالنـا ثمـار العقول الأخرى، لكنه ينبغى أن يكون يقظًا لما يترجم وأن يدقق فيما يختـار حتى يقدم لأطفالنا ما يناسب ما أقاموا عليه من قيم وتقاليد وأفكـار، وما تعدهم إليه أسرهم وأوطانهم فى مقبل الأيام، فليس من شك فى أننا نرجـو أن نعد أطفالنا لمهام تتصل بدينهم ووطنهـم العربـى كـى يـأخذوا بيـده إلى التقدم والنماء فيحافظوا عليه ويصونونه، وهو ما يختلف عما يعد له أطفـال فى قارات أخرى.

ولقد حدث بالفعل أن قدمت للطفل العربى أعمال ونماذج أجنبيـة حققت الذيوع والانتشـار بين الأطفـال علـى الرغـم مـن أنهـا تعـرض مـا يتناقض مع قيمهم وتقاليدهم.

أنواع أدب الأطفال

سبق أن أكدنا أن أدب الأطفال هو جزء من الأدب بمعناه العام، يستثمر كل خواصه وطاقاته وتقنياته الفنية، ويصب فى أنواعه الأدبية المعروفة من مقال، وقصيدة، وقصة، ومسرحية، وغيرها. ومن نماذج ذلك:

أولاً : القصة :

لا ينكر أحد أنه قد ظهر فى تاريخنا الأدبى عدد لا يحصى من النوادر والحكايات التى حملت فى طيها من المتعة أو العبرة ما لا يزال حتى الآن منهلاً عذبًا لا ينكر، ويكفى أن نشير إلى كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، ويضاف إلى ذلك السير الشعبية وأمثالها، مما يدل دلالة بينة على أن أدبنا القديم حافل بالقصص والحكايات التى تحقق التسلية والامتاع والفائدة[1].

لكننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن القصة العربية الحديثة هى نتيجة التطور الفكرى العالمى، وأنها نشأت وترعرعت بتأثير الفن القصصى الغربى حين بدأ الفن القصصى عندنا متعلقًا بالترجمة والنقل من الأدب الأوربى، وأنه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بدأت تظهر على فننا القصصى أمارات الاستقلال. وها نحن اليوم نملك فنًا قصصيًا عربيًا خالصًا يعد تقدم واسع فى هذا المضمار بلغ حد العالمية.

---

(١) راجع : أنيس المقدسى، الفنون الأدبية وأعلامها، ص ٤٩٦.

وتعد القصة فى أدب الأطفال من أحدث فنون القص فى الأدب العربى، وتشتمل القصة عادة على حدث أو أحداث جزئية مترابطة، تقع لشخص أو أشخاص، ويستقيها الكاتب من الحياة، ويعرضها لنا فى صدق بعد أن يتعمقها، لكن اختيار الحادثة التى يعرض لها الكاتب أمر بالغ الأهمية[١] فليس كل حدث جديرًا بالالتفات إليه، أو مناسبًا للأطفال.

أما عناصر القصة فهى كالتالى :

١- الحادثة :

هى واقعة أو مجموعة من الوقائع مسرودة سردًا فنيًا، فى إطار خاص يميزها عن غيرها. ولابد أن تتسم بالحركة سواء كانت حركة عضوية أو حركة ذهنية.

٢- السرد :

هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى ألفاظ تكتب على الورق، أى اللغة، وهو ما يتمثل لنا من خلال الحوار الذى يجرى بين الشخصيات.

٣- البناء :

لكل قصة صورة بنائية خاصة بها، لكنها جميعًا فى إطار وقائع يؤلف بينها الكاتب فيتحقق بذلك البناء القصصى. وله شكلان غالبان :

---

(١) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ص ١٣٤ - ١٤٤.

أ- أن تكون شخصية البطل هى مركز القصة وتربط بين العناصر المختلفة، ويسمى هذا الشكل الصورة الانتقائية، مثلما نرى فى قصص المغامرات عادة حيث يكون لها بطل تتمحور حوله الأحداث.

ب- أن يكون لكل حادثة جزئية دورها الحيوى والفاعل مع بقية الأجزاء، ويسمى هذا الشكل الصورة العضوية.

٤- الشخصيات :

قد تكون إنسانًا أو حيوانًا أو طيرًا، لكنها هى التى تقوم بدور بارز فى القصة قد تعرض لها الأحداث، ويجرى على ألسنتها الحوار، كما أنها هى التى تجسد أفكار الكاتب. ولذا لابد أن يجيد الكاتب رسم ملامح شخصياته على نحو يجعلها مألوفة لنا وقادرة على اكتساب تعاطفنا واهتمامنا. وإلا كانت شخصيات باردة أو جامدة لا صلة لنا بها وقد ننفر منها.

٥- الزمان والمكان :

تقع الحادثة عادة فى زمان بعينه ومكان محدد. وهما يمثلان أرضية القصة وخلفيتها أيضًا، وهما يفسران لنا كثيرًا من جوانب الحادثة وسلوك الشخصيات، فالحادثة لا تقع فى فراغ، كما أن الشخصيات لا تتحرك فى المجهول.

٦- الفكرة :

إن اختيار الكـاتب لحادثـة بعينها يعرضهـا علينـا، لابـد أن يكـون وراءه هدف، أى القصد من العمل الأدبى، وهو الفكرة. إنها السبب فى كتابة الأديب لقصته، وهى النتيجـة التى نخلص إليهـا بعد قراءة القصـة. ويجب أن يكون هذا الهدف أحد غايات أدب الأطفال.

والقصة فى أدب الأطفال أحـد الأنـواع المحببـة إليهـم بسبب ميـل الطفل إلى القص، وتعلقه بـه، فالقصـة تمـده بالمعلومـات والأفكـار، وتزيـد قدراته العقلية، وتثير خياله، وتعوده على حسن الاستماع، وتزيـد محصولـه من الألفاظ، وأخيرًا تساعده على حسن التعبير والميل إلى القراءة والاطلاع، إضافة إلى ما تحققه فى نفسه من المتعة والسعادة.

وتتخذ القصة فى الأدب الحديث أشـكالاً أربعـة هـى الأقصوصـة، والقصة القصيرة، والقصة، والرواية. وتنقسم جميعًا فـى أدب الأطفـال إلى أنواع يكتسب كل نوع منها اسمه من موضوع القصة ومضمونها، مثل :

١- القصة الدينية :

وهى القصة المستمدة من القرآن الكريـم أو السـنة النبويـة أو سـيرة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وتابعيه، أو موضوع دينى.

٢- قصص الطبيعة :

وهى القصة المستمدة من الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والريح والليـل والنهـار، أو عنـاصر مـن الطبيعـة كالبحـار والطيـور والحيوانـات وغيرها.

٣- القصة الفكاهية :

وتعرض حكاية هزلية مضحكة، تثير البهجة، وتبعث الفرحة فى النفوس.

٤- القصة الشعبية :

وهى القصص المتوارثة عن الأجداد، وتكون مجهولة المؤلف، وتعرض لأحداث التاريخ وحكمة الأجيال.

٥- القصة الاجتماعية :

قصة تتناول أحداثًا اجتماعية وتعرض للسلوك البشرى.

٦- القصة التاريخية :

تعرض واقعة تاريخية، أو أحداثًا، أو شخصيات تاريخية.

٧- القصة الأسطورية :

قصة تعرض لإحدى الأساطير الموروثة فى التراث الإنسانى والعربى، وتعتمد على صفات غير عادية للبطل، أو تعمر بأحداث غير عادية، أو تصف رحلات إلى أماكن غير معروفة.

٨- قصص الخيال العلمى :

قصة تعرض لأشخاص أو أحداث غير موجودة فى واقع الحياة لكنها تنهض على أساس علمى أو تنطلق من حقائق علمية معروفة.

ثانياً : الشعر :

الشعر اسم جنس، تندرج تحته أنواع شعرية كثيرة، منها :

الشعر الغنائى

الشعر الملحمى

الشعر المسرحى

شعر القصة الشعبية

والشعر الغنائى منه القصائد والمقطوعات، والأناشيد.

وإذا أردنا أن نضع تعريفًا للشعر، فإننا لن نستطيع الوصول إلى تعريف جامع مانع كما يقول أهل المنطق، فلقد اختلفت الإنسانية فى تاريخها الطويل حول هذا التعريف، لكننا نستطيع الاقتراب منه إذا تناولنا بعض العناصر، مع إقرارنا بأنه لا يمكن تقسيم العمل الشعرى وتفتيته، لأن تقسيم القصيدة -مثلاً- إلى فكرة وصورة موسيقية خطأ.

فالقصيدة ألفاظ مرتبطة ومنسقة على نحو معين يكسبها شخصية خاصة، لها حيويتها وفاعليتها، وتنقل لنا الفكرة التى أحس بها الشاعر، مستعينة فى ذلك بالصورة الشعرية، كما أن موسيقى القصيدة وثيقة الصلة بالشعور الذى تحتويه، وهكذا فإن القصيدة تركيب فنى أداته اللغة، واللغة الشعرية هى اللغة المعروفة لكن يدخل الشاعر عليها تغييرًا يجعل منها شيئًا آخر.

وبذلك يكون الفرق واضحًا بين الشعر وبين النظم الذى هو كلام موزون مقفى.

الأناشيد :

هى «قطع شعرية قصيرة تتميز بطرب الإيقاع، وعذوبة النغم، وبساطة الألفاظ، ويسر المعانى، وجمال الأسلوب مما يساعد على تلحينها وأدائها أداء جماعيًا»[1] . وتؤلف غالبًا للأطفال الذين يسهل عليهم حفظها وترديدها، منذ مرحلة الحضانة.

وغنى عن القول إن اهتمام العرب بالشعر -منذ الجاهلية- كان عظيمًا، ومنه هذا الشعر الذى يرقصونهم به، وورد عنهم فى ذلك شعر كثير[2] .

واستمر الأمر نفسه بعد الإسلام، فظلت رواية الشعر أساسًا تعليميًا للصغار، وأوصى الكتاب برواية الشعر لأهميته للأطفال[3] .

ولا ريب فى أهمية الشعر للأطفال، حيث يربى أذواقهم بما فيه من صور جميلة، وموسيقى عذبة، ويربى أحاسيسهم على الجميل والرائع من الأشياء، إضافة إلى تنمية ثروتهم اللغوية، وتقريبهم إلى التراكيب العربية الصحيحة، وإكسابهم الصفات النبيلة والمثل العليا، وتمكينهم من جودة الإلقاء وتمثيل المعنى، وأخيرًا تربية الذوق الأدبى الرفيع لديهم.

---

[1] أحمد حنوره : أدب الأطفال، ص ١٦٩.

[2] راجع : أحمد أبو سعد، أغانى ترقيص الأطفال عند العرب، وأحمد سويلم، أطفالنا فى عيون الشعراء..

[3] راجع : د. أحمد شلبى، التربية والتعليم فى الإسلام، سعيد الديوه، التربية والتعليم فى الإسلام.

وإذا تناولنا نصًا أدبيًا واحدًا من شعر الأطفال بالدراسة الأدبية، لوقفنا على كثير من خصائص الشعر الجيد للطفل، وهو نص قديم كتبه أمير الشعراء بعنوان "الثعلب والديك"[1].

بَرَزَ الثَّعلبُ يومًا	في ثيابِ الوَاعِظينا
فَمَشَى في الأرضِ يهدى	وَيَسُبُّ الماكِرينا
ويقولُ الحمدُ لله	إلـهِ العالَمينا
يا عبادَ الله تُوبُوا	فَهُوَ كَهْفُ التَّائبينا
وازهدوا في الطيرِ إنَّ الـ	عيشَ عيشُ الزاهدينا
واطلبوا الديكَ يؤذن	لصلاةِ الصُّبحِ فينا
فَأَتَى الديكَ رسُولٌ	من إمامِ النَّاسِكينا
عرضَ الأمرَ عليه	وهو يرجو أنْ يلينا
فأجابَ الديكُ : عُذرا	يا أَضَلَّ المهتدينا
بَلِّغ الثعلبَ عنِّى	عن جدودى الصَّالحينا
عن ذوى التِّيجَانِ مِمَّنْ	دخلَ البطنَ اللعينا
أنهم قالوا وخيرُ الـ	قولِ قولُ العارفينا
"مُخطئٌ من ظنَّ يوما	أنَّ للثعلبِ دينا"

والنظر في هذا النص الشعرى القصصى، يوقفنا على عناصره[1] :

---

[1] ديوان شوقى للأطفال، ص ٧٩.

الحـــدث :

الحدث فى هذه القصة حدث مركب يتشكل من علاقتين : إحداهما بين الثعلب ورسوله، والثانية بين هذا الرسول والديك، ولذلك فليس هذا بالحدث البسيط كما كان فى القصة السابقة، وهى "الأرنب وبنت عرس"، حيث قد تشكل الحدث فيها من علاقة واحدة، من هنا فقد جعلناها لمرحلة الطفولة المتوسطة، بينما جعلنا قصة "الثعلب والديك" الطفولة المتأخرة.

وقد بدأ هذا الحدث المركب "بمفارقة" إذ يبدو الثعلب على غير المعهود منه واعظًا متنسكًا، داعيًا إلى الوضوح، وحمد الله والتوبة إليه، والزهد فى الطيور، ودعوته الديك لآذان الصبح تأكيد لهذا التغيير، وقد وظف الشاعر فى صياغته لهذا الجزء من الحدث "الأفعال المضارعة" بدلالتها على الحال والاستقبال : (يهدى - يسب - يقول - يؤذن) للإيحاء بهذا التغيير الجديد فى مسلك الثعلب، الذى به قد تخلى عما عرف عنه من مكر ودهاء وخداع وطمع فى الطيور فى الماضى، كما كانت الجمل القصيرة البسيطة الواضحة عماد هذا الزعم : (فى الأرض يهدى - يسب الماكرين - يقول الحمد لله - يؤذن للصلاة)، بالإضافة إلى أنها جمل ذات أفعال مجردة فى معظمها، وليس هناك تباعد بين أطرافها، والشاعر بذلك ينمى حدثه فى يسر، ويقربه من الأطفال فى بساطة.

---

(١) من كتاب د. سعد أبو الرضا، القصص الأدبى للأطفال، ص ١٤٩.

وتمتد المفارقة فى الجزء الثانى من الحدث عندما ينقل رسول الثعلب رسالته إلى الديك، ويستخدم الفعل المضارع أيضًا (وهـو يرجـو أن يلينـا)، وبذلك يتصاعد الحدث مؤذنًـا بنهايتـه وعقدتـه، التـى سـوف يشـكلها رد الديك، فى الجزء الثالث من هذا الحدث.

وإذ يحتكم الديك إلى رصيده من التجارب مـع الثعلـب، تنكشـف حيلته، ويتضح خداعه، وفساد زعمه، وتتجلى له طبيعـة الثعلـب المعهـودة، مخادعًا ماكرًا ضماعًا، وهنا يصوغ الشـاعر هـذا الجـزء فـى أفعـال ماضيـة، تكشف عن تاريخ الثعلب مع الديكة والدجاج، فكم التهم منهـم، وأنـه لا دين له، لذلك فقد رفض الديك رسالته، وكشـف خداعـه، ولم تجـز عليـه حيلته.

وذلك "حل" للعقدة ونهاية تريح مشاعر الأطفال، لاسيما وقد بـاء الشرير بمكره وخداعه، وانكشفت حيلته، فلم تحقق له غايته.

الشخصيات :

وهى ثلاثة : الثعلب، ورسوله، والديك، ويلاحـظ أنهـا أكـثر مـن اثنتين، وذلك من الأسباب التى تجعل هـذه القصـة أنسـب لمرحلـة الطفولـة المتأخرة، وقد حاول الشاعر رسم ملامح الشخصيتين الرئيسـيتين فـى دقـة، وهما الثعلب والديك، أما أولهمـا فمـاكر مخـادع، محتـال طمـاع، وبذلـك فالشخصية متوازنة وغير متناقضة، إذ لا خلاف بين صفاتها فى النص وبين ما هو معروف عنها فى الواقـع، كمـا أن العلاقـة بينهـا وبـين مـا ترمـز لـه

منضبطة، إذ تصور سلوك الماكر المخادع الطماع عندما يتحايل للوصول إلى هدفه، وقد أسهم التشكيل الشعرى فى جلاء ذلك، فكل بيت من الأبيات الستة الأولى يصور بشطريه صورة ذلك الخداع ويؤكدها، حيث ترد الصفة فى الشطر الأول من البيت، ثم تتضح أو تتأكد فى الشطر الثانى، وهكذا تتابعت صفات الثعلب التى يحاول الاحتيال بها، فهو : واعظ - هادى - حامد - تائب - زاهد ... إلى أن جعله الشاعر (إمام الناسكينا) بالغًا بهذه الشخصية أقصى درجات الزعم والاحتيال، والنفاق الذى انهار وانكشف أمام حصافة الديك وبعد نظره.

ولقد كان الديك ذكيًا إذ يستفيد من خبراته السابقة، وتجارب أمثاله، ولذلك لم ينخدع، ونجا، وهكذا تمثل هذه الشخصية موقف الإنسان السوى، إذ يحتكم إلى خبراته وتجارب غيره فى تعامله مع الآخرين.

ولقد برزت هذه الصفات جميعها فى كلتا الشخصيتين بطريقة غير مباشرة، عن طريق تصوير الأمور الحسية الكاشفة عن هذه الصفات المعنوية، فالثعلب : يبرز، ويمشى، ويهدى، ويتوب، ويزهد، والديك، يجيب، ويبلغ، ويقول ... الخ.

ولقد أحكم الشاعر بدقة "الإطار القصصى" الذى تتحرك فيه هذه الشخصيات، مما يقنع بها، برغم أن معالم "مكان" القصة بالتحديد غير واضحة، لكن هناك من الملامح ما يعوض عن ذلك، بما يشعر أنه مدينة أو

قرية فيها "عباد الله" الذين كان الثعلب يعظمهم، ويدعوهم إلى التوبة والهداية والزهد، وهناك "المسجد" الذى دعى الديك "للآذان فيه"، وهناك الطريق الذى سلكه "رسول الثعلب" وغير ذلك من الملامح، وعدم التحديد هذا يعتبر أيضًا مسوغًا من مسوغات صلاحية هذه القصة لمرحلة الطفولة المتأخرة، الذين يستطيعون استنتاج تصور المكان، وهو مالا يستطيعه أطفال مرحلة الطفولة المتوسطة.

كما كانت هناك إشارة إلى "الزمان" وهو قبيل الصباح إذ دعى الديك لآذان الصبح، وملمحا المكان والزمان على هذا النحو من عوامل تقريب القصة إلى أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة.

اللغة والحوار :

للحوار فاعليته فى قصص الأطفال، إذ يلفت انتباههم، ويستثير فاعليتهم، كما ييسر عليهم قراءة القصة، وقد أثبتت ذلك بعض البحوث الميدانية[1]، ويمكن أن تكون قصص الشاعر أحمد شوقى دليلاً على ذلك، ومن بينهما القصة التى نعرض لها، حيث يتصل فيها الحوار بالسرد مشكلاً لبنية القصة، فى تآزر يكشف عن التحام عناصرها، وجلاء غاياتها الأخلاقية والثقافية الجمالية.

أما لغة شوقى الرصينة المشرقة، التى يحاول تربية أذواق الأطفال عليها، وصقل وجداناتهم ومشاعرهم بها، فيجليها هنا ائتلاف ألفاظها

---

[1] انظر د. حسن شحاته، "قراءات الأطفال"، ص ٦٥ وما بعدها.

ائتلافًا خاصًا يشكل إيقاعًا يتساوق مع نمو الحدث داخل القصة، من ثم تتابع الأبيات فى يسر وسهولة كاشفة عن تحايل الثعلب، ومحاولة رسوله أن يقنع الديك، الذى أدرك الخديعة ورفض التحايل، مؤمنًا أن المحتال لا مبدأ له.

ويتآزر هذا الإيقاع مع الوزن الشعرى، و"القافية المطلقة" فى القصيدة، لتهيئة الأطفال وجدانيًا للاستمتاع بهذا النص، ووعى أهدافه، التى فى مقدمتها عدم الثقة فى الماكر المخادع، وإثراء وجدان الأطفال بما فيها من مظاهر الجمال الأدبى.

إن ما تتميز به لغة الشعر التصوير والتكثيف والتركيز، وهو ما تحقق فى هذا النص بدرجة أكثر من نص : "الأرنب وبنت عرس"، مما جعلنا نخص السابق منهما بمرحلة الطفولة المتوسطة، وما بين أيدينا بمرحلة الطفولة المتأخرة، وإذا كان التكثيف والتركيز يثريان العقل -فيما يثريان- فإن التصوير مع التكثيف يمتع الوجدان، وبذلك تتكاثر عناصر الإمتاع فى هذا النص الذى بين أيدينا وإليك عدة صور كنماذج لإيضاح هذه الفكرة:

(الله).. كهف التائبين - (الثعلب).. إمام الناسكين - (رسول الثعلب).. أضل المهتدين.. وهذه الصور الثلاث تزخر بالدلالة، نتيجة ما بين أطرافها من تماثل أو تخالف فى المعنى، ينبنى على ما تحيط به الصورة من أبعاد، فالأولى تبرز رعاية المولى سبحانه وتعالى للتائبين وكأنها حصن لهم، بفضل ما بين "الكهف والتوبة" من تماثل، فنتيجة كل منهما خير فى

هذا السياق. والثانية تتضمن من السخرية ما يجعل أكبر المحتالين وهو الثعلب "إمامًا للنساك"، وكلا الطرفين بينهما تماثل يوحى ببلوغ كل منهما الغاية، فما أشد سخرية الشاعر من هذه الشخصية.

أما الثالثة "أضل المهتدين" فتقوم على تخالف بين طرفيها يضاعف من الإحساس بفساد وانحراف الموصوف بهذه الصورة.

وبجانب أن الصور الثلاث تزخر بالدلالة، واستثارة الفكر وإمتاع الوجدان لما يوحى به التصوير فيها، فهى ذات إيقاع متماثل أيضًا، مما يضاعف من عنصر الإمتاع.

ولننظر إلى "... ذوى التيجان ممن... دخل البطن اللعينا" "فذوى التيجان" صورة جميلة ترمز للديكة، وفى الوقت نفسه توحى الصورة بعلو المكانة "التيجان"، التى لا تلبث أن تتدهور وتختفى بدخولها إلى "بطن الثعلب"، مما يجعل الصورة كاشفة عن ضياع هؤلاء من ذوى المكانة من أصحاب التيجان، لأنهم انخدعوا بهذا الماكر المحتال، من ثم تتضمن تلك الصورة فوق إمتاعها تحذيرًا شديدًا من الانخداع، وتصديق من لا مبدأ لهم من المنافقين والمخادعين، وهو من أهم أهداف القصة كلها، وذلك مبدأ أخلاقى يحرص عليه الدين كما يوضحه حديث "آية المنافق ثلاث"، وهكذا تتجلى قصص الشاعر أحمد شوقى داعمة لكثير من القيم الأخلاقية الدينية، وموظفة الشعر والقصة فى الدعوة إليها.


الملاحق

أولاً :

نماذج من القصة المعاصرة

الصوت الغريب(*)

في وقت الظهيرة، حيث تشتد حرارة الشمس، كانت حيوانات الغابة تتجمع تحت شجرة كبيرة لتحتمي في ظلها من شدة الحر، بعض الحيوانات كانت تجلس في الظل، وبعضها كان ينام، وكان في ساق الشجرة فتحة لم تهتم بها الحيوانات.

ذات يوم كانت البطة تمر بجانب الشجرة، وهي معجبة بجسمها السمين، تتمشى في بطء على الحشائش الخضراء، وفجأة سمعت صوتًا غريبًا صادرًا من الفتحة الموجودة في ساق الشجرة، وأرهفت البطة السمع، فسمعت صوتًا يقول تك .. تك .. تك.

أسرعت البطة بقدر استطاعتها، حتى وصلت إلى جحر الأرنب، ونادته : يا أرنب.. يا أرنب.. أطل الأرنب من جحره وسألها عما تريد، فأخبرته أنها سمعت صوتًا غريبًا بجانب الشجرة الكبيرة، وقالت له : أنت أسرع مني، فاذهب لتخبر بقية حيوانات الغابة.

خرج الأرنب من جحره، وأخذ يجري في الغابة، حتى وصل إلى حظيرة الحمار، فأخبره أن البطة قد سمعت صوتًا غريبًا عند الشجرة الكبيرة، ويبدو أن هناك خطرًا يهدد حيوانات الغابة، لكن الحمار هز ذيله ولم يهتم بما قاله الأرنب.

(*) فوزي خضر، دار المعارف. والقصة مصورة

جرى الأرنب إلى أن وصل إلى بيت الغزالة، فأخبرها بما قالته البطة عن الصوت الغريب .. نظرت الغزالة إلى الأرنب فوجدته مُتْعَبًا من الجرى، فأشفقت عليه، وقالت له : أنا أسرع منك، فاسْتَرِحْ، وأنا سأُحَذِّرُ الحيوانات.

أخذت الغزالة تجرى فى الغابة، وكلما قابلت حيوانًا كانت تخبره أن البطة قد سمعت صوتًا غريبًا عند الشجرة الكبيرة.

وأخيرًا وصلت الغزالة إلى حديقة الزرافة فأخبرتها، فقالت لها الزرافة : استريحى أنتِ يا غزالة، فهناك من يمكن إبلاغ كل الحيوانات أسرع منكِ.

رفعت الزرافة رأسها إلى أعلى، ونادت : يا عصفور.. يا عصفور.. فجاء لها العصفور طائرًا، ووقف على غصن شجرة قريبة، فأخبرته الزرافة بموضوع الصوت الغريب الذى سمعته البطة عند الشجرة الكبيرة.

طار العصفور ليخبر الحيوانات بموضوع الصوت الغريب، فمر على كل حيوانات الغابة حتى وصل إلى القرد، فوجده يأكل الموز مع أولاده القرود الصغار، فأخبره أن البطة سمعت صوتًا غريبًا عند الشجرة الكبيرة، والحيوانات كلها لن تذهب بعد اليوم عند الشجرة.

ضحك القرد وطلب من العصفور أن ينزل على يده ليحدثه. قال القرد : ما كان يجب أن تطير أنحاء الغابة يا عصفور لتحذر الحيوانات، إنما

كان يجب أن تطير لتطلب منهم أن يتجمعوا عند الشجرة الكبيرة، حتى يعلموا مصدر هذا الصوت الغريب.

اقتنع العصفور بكلام القرد، وطار مرة أخرى بين أشجار الغابة، ليخبر الحيوانات بضرورة التوجه إلى الشجرة الكبيرة لكي يكتشفوا حقيقة الأمر، ولا يهربوا من مواجهة الخطر إن كان هناك خطر.

تجمعت الحيوانات عند الشجرة الكبيرة، وسمعت الصوت الغريب صادرًا من الفتحة الموجودة فى ساق الشجرة، وكان الصوت يقول : تك.. تك.. تك. بعض الحيوانات أصابه الخوف فأخذ يجرى مبتعدًا عن الشجرة، وبعضها وقف مذهولاً يتسمع للصوت الغريب.

قال القرد : لا يجب أن نخاف مما لا نعرف، وخبط بيده على ساق الشجرة، فأطل "سنجاب" من الفتحة، وهو يأكل البندق ويكسره : تك.. تك.. تك.. ضحكت الحيوانات، وقالت البطة : ما كان يجب أن نخاف، فهذا صاحبنا السنجاب جاء يسكن فى فتحة الشجرة، ويأكل البندق مُحْدِثًا ذلك الصوت الغريب : تك.. تك.. تك.

الغابة النظيفة(*)

كانت الحيوانات التى تعيش فى الغابة تحب النظافة، وتكره أن ترى أى شيء غير نظيف فالأرض ليس عليها أوراق من الأشجار، لأن الحيوانات كانت تنظف الغابة كل يوم.

كانت الزرافة تأكل من الشجرة، فإذا سقطت منها بعض الأوراق على الأرض، حملتها إلى صندوق القمامة، وكان الفيل يملأ خرطومه بالماء، ويرش الأرض بعد تنظيفها حتى تصبح لامعة وأكثر نظافة، وحتى يصبح الجو أكثر جمالاً واعتدالاً.

وكان القرد يقشر الموز ويجمع قشره فى يده، ثم يذهب به إلى صندوق القمامة ويلقى القشر بداخله.

كان الأسد أول واحد يحافظ على نظافة المكان، فإذا أكل اللحوم أكلها فى مكان بعيد عن الطريق، حتى يحافظ على نظافة الغابة وجمالها، فقلده النمر والبَبْر وباقى الحيوانات المفترسة.

هكذا كانت الغابة النظيفة لا تعرف الأمراض التى تسببها عدم النظافة والإهمال.. وعاش الجميع فى صحة وسعادة، وكذلك عاش أطفالها، كان شعار الجميع "النظافة من الإيمان" وعلقوا هذا الشعار فى كل مكان فى الغابة.

(*) نجوى السيد، دار المعارف. والقصة مصورة.

فجأة قال القرد لنفسه : لماذا أحتفظ بقشر الموز وأتعب نفسى كل مرة فى الذهاب إلى صندوق القمامة وألقيه بداخل الصندوق لماذا لا أرميه على الأرض هكذا ؟ ورمى القشر.

رأته الزرافة، قالت لنفسها : القرد عنده حق، لماذا أتعب نفسى أنا أيضًا، وأجمع الأوراق التى تسقط من الشجرة وأنا آكل أوراقها، ثم أذهب لأرميها بالصندوق ؟ لا، سأريح نفسى من الآن.. وتركت الأوراق على الأرض.

ورأى الفيل ما فعله القرد، وما فعلته الزرافة، فوقف وقال : عندهما حق، لماذا أُتعب نفسى أنا أيضًا وأذهب كل يوم لأملأ خرطومى بالماء ثم أرش به الأرض ؟ إنه عمل متعب.. لا لن أفعله مرة أخرى، وسوف أستريح.

ثم جاء البَبَرُ وقد اصطاد غزالة شهية، وقال : الجميع يستريحون، فلماذا أذهب لآكل الغزالة فى مكان بعيد ؟ لماذا لا أستريح مثلهم وآكل طعامى هنا فى وسط الطريق ؟ وقلّدَهُ النمر وكل الحيوانات المفترسة إلا الأسد.

كان الأسد يمر فى الغابة فوجدها غير نظيفة، فلم يصدق عينيه، وراح يسأل عن السبب، ولما عرف السبب قال : الآن سيعرف المرضُ طريقَ غابتنا الجميلة، وستهرب السعادة منها.

مر أسبوع والغابة تزداد قذارة وإهمالاً، وبدأت الحيوانات تمرض، ثم يموت أغلبها من شدة المرض، ولكن الأسد لم يسكت، فقد جمع الحيوانات وأمرها بالعمل فى الغابة من جديد لتحويلها مرة أخرى إلى غابة نظيفة وجميلة، وكان يعمل معهم بعد أن اعترفت الحيوانات بخطئها.

بعد أيام عادت الغابة كما كانت، نظيفة جميلة لامعة، وعادت للحيوانات صحتها وسعادتها، وعُلِّق شعارُها الجميل (النظافة من الإيمان) فى كل مكان فى الغابة كما كان مُعَلَّقًا من قبل، وحفظه الصغار وغنوا له، وهم يرون الكبار يعملون من أجله.

حكاية لونها أخضر(*)

قبل سنتين، كنت أقرأ فى كتب المدرسة، وفى الصحف والمجلات، كلامًا كثيرًا عن البيئة، وأحاول أن أفهم معناه. وأدركت أن العالم كله يهتم ببعض المشكلات البيئية، ويسعى إلى حلها، حتى أن رؤساء وملوك دول العالم اجتمعوا فى عاصمة البرازيل لبحث وسائل صون بيئة البشر على سطح الأرض.

لذلك، لما قرأت الدعوى للانضمام إلى جماعة بيئية تكونت فى النادى الذى ينتمى إلى عضويته كل أفراد أسرتى، بادرت باستئذان أبى وأمى فى الحصول على عضوية تلك الجماعة، فرحبا بالفكرة.

كان أول ما جذب انتباهى إلى تلك الجماعة هو اسمها : الفريق الأخضر ، ولما طرقت الباب لأول مرة، طالبًا تسجيل اسمى كعضو فيها، سألت عن مغزى هذه التسمية، فقيل لى : ستعرف كل شىء فى أول اجتماع للأعضاء الجدد..

وفى ذلك الاجتماع، قال المشرف على الجماعة، أو الفريق :

- "لم يكن اختيارنا لاسم جماعتنا عبثًا.. فاللون الأخضر يمثل الأمل.. وهو فى إشارات المرور يعنى الأمان.. وهو غاية ما يتمناه كل أنصار صون البيئة من أجل الأرض... أن يتسع غطاؤها الأخضر من

(*) رجب سعد السيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة. والقصة مصورة.

الأشجار والنباتات، ففى ذلك علاج لها من بعض الأمراض التى حلت بها..

وأتيح لنا أن نسأل ونحاور المشرف والأعضاء القدامى، فكان ذلك مثمرًا، وأضاء لنا الكثير من النواحى التى كانت غامضة علينا.. فعرفنا أن نشاط البشر على الأرض كان جائرًا على الغابات والنباتات، فانكمشت المساحات الخضراء على سطح الأرض، وفى نفس الوقت، وأنتج ذلك النشاط المكثف مزيدًا من غازات الكربون، انطلقت إلى الغلاف الجوى للأرض، فارتفعت نسبة تلك الغازات فى الهواء عن الحد الطبيعى، فبدأت التغيرات فى أحوال مناخ الأرض تظهر.. هنا جفاف وقحط، وهناك أمطار وسيول وفيضانات مدمرة.. وهكذا..

من هنا، كان الأمل فى لون النبات : الأخضر، ليعود يكسو وجه الأرض، فالنباتات -كما يقول كتاب العلوم- تستهلك غاز ثانى أكسيد الكربون وهى تبنى أنسجتها، وتخرج لنا غاز الحياة : الأكسجين..

وبدأ العلماء يبحثون عن كل الوسائل لتخضير العالم، وأصبح معنى التخضير، ليس فقط إضافة اللون الأخضر بغرس الأشجار وحظر اقتلاع الغابات، بل اتسع المعنى من أجل أن يشمل كل أنشطة الإنسان -بما فيها الصناعة- فيجعلها خضراء.. أى يتجنب أى عمليات تفسد الهواء أو تلوث الماء أو تجعل المخلفات تتكدس وتشوه وجه الأرض..

وهكذا.. استقر الرأى -عند تكوين جماعتنا فى النادى- أن يكون اسمها : الفريق الأخضر.. وقد استمتعت كثيرًا بممارسة النشاط كعضو أخضر.. وهذا هو لقب كل أعضاء الفريق. و لم تكن المتعة التى وجدتها فى مشاركتى بأنشطة الفريق قاصرة على الرحلات الخلوية التى كنا ننظمها لنتعرف على بعض المناطق فى بلادنا لا تزال محتفظة بطبيعتها الخلابة، و لم يمتد إليها بطش التلوث.. بل كانت متعتى الكبرى فى إحساسى بأننى انتقلت من صفوف الذين يراقبون ما يحدث من حولهم، إلى صفوف المشاركين بالعمل فى تحسين صورة البيئة.

وقد تبدو مشاركاتنا للبعض بسيطة، وإنها لكذلك، ولكنها إيجابية، ويمكن لتأثيرها أن يكون أعم ولقيمتها أن تكن أكبر إذا ازداد عدد من يتقدمون إلى جموع المشاركين ليصبحوا (أعضاء خضرًا) فى كل مكان..

معذرة... اسمحوا لى، وبكل تواضع، أن أقول بأن اسهاماتنا كانت ذات شأن.. فقد شعر سكان مدينتنا الساحلية بقيمة عملنا عندما أسرعنا إلى محطة الإذاعة المحلية، لنحذرهم من تناول المنتجات البحرية خلال أيام تبدلت فيه طبيعة مياه البحر أمام مدينتنا وتلوثت بمواد سامة أماتت أعدادًا ضخمة من الأسماك.

واستجبنا لطلب بعض الباحثين فى مركز علمى، أن نساعدهم فى إجراء دراسة علمية حول تأثير عوادم السيارات على طبيعة الهواء فى شوارع مدينتنا..

أما نجاحنا في حماية المنطقة الشاطئية التى تبيض فيها السلاحف فكان مصدر سعادة لنا.. كان بعض المتشردين يسطون على بعض السلاحف. بعد أن تضعه الأمهات مدفونًا في رمال الشاطىء، وقبل أن يفقس، حتى باتت سلاحفنا مهددة بالانقراض، أو أنها قد تهجر سواحلنا، فنبهنا سلطات الأمن لتبعد هؤلاء اللصوص، وعندما فقس بيض السلاحف، سهرنا نحمى الصغار وهى تزحف فى اتجاه المياه، فلم تتعرض لخسائر تذكر، هل تعلمون أن السلاحف فى بعض بحار ومحيطات العالم تكاد تختفى، لأنها لم تجد من يساعدها لتبقى ؟

وهل تدركون قيمة أن نحافظ على كائن حى، مثل السلاحف، فلا يهدده خطر الانقراض ؟

لا أنسى أن أذكر لكم حقيقة قد يعلمها بعضكم : أن الأماكن التى اختفت منها السلاحف البحرية، انتشرت فيها قناديل البحر بشكل واسع.. وقاكم الله لدغة قنديل البحر

شىء طريف آخر أحكيه لكم عن فريقنا الأخضر.. لنا شعارنا الخاص : دائرة صغيرة فيها شجرة، وخطوط تمثل موجة، وسحابة، وكلها تسبح فى درجات من لون الأمل : الأخضر، ولنا ملصقاتنا المنتشرة فى المنازل ومواقع العمل، وهى -طبعًا- خضراء اللون، وتحمل البسمة مع الإرشاد، عندما يخرج الفريق إلى موقع ما، لأداء مهمة (خضراء)، نحرص

جميعًا على تغطية رءوسنا بغطاء الرأس المميز للفريق.. وبالطبع، فأنتم تعرفون ماذا يمكن أن يكون لونه

وعندما نخرج فى حملات بالمدينة أو خارجها، ونطرق أبواب المساكين، يفتح لنا أصحابها الأبواب، ويستقبلوننا بابتسامة ود فور أن يتأكدوا من شخصياتنا، عن طريق غطاء الرأس الأخضر، يستمعون إلينا باهتمام.. نحدثهم عن خطورة التدخين، والتأكيد من إبعاد الأطفال عن أماكن المدخنين، أو عن ضرورة مراعاة بعض شروط الأمان عند استخدام المبيدات الحشرية فى المنازل، أو عن أهمية تهوية حجرات المنازل ووجود نباتات خضراء بها.

وبالأمس، استدعينا إلى مهمة جديدة...

اقتربت بعض الدلافين من الشاطئ، وتركت المياه، واستقرت على شريط المياه المبلل، ولم تفلح معها كل المحاولات لإعادتها إلى المياه، وهذا يعرض حياتها للخطر، فاتصلت بنا قيادة حرس السواحل تطلب مساعدتنا..

لا أخفى عليكم.. كنت أتساءل، ونحن فى الطريق إلى الموقع المحدد، ماذا سنفعل لتلك الدلافين ؟.. إننا نسمع عن وقائع مثل هذه تحدث لحيتان ودلافين فى بلاد أخرى، ونرى فى شرائط التلفاز الناس وهم يحاولون جرها إلى المياه، وهى متمسكة بالبقاء على الأرض، كأنما تسعى بنفسها إلى حتفها، ثم يأتى تعليق العلماء على تلك الظاهرة المتكررة

فيقولون إن أسبابها غير مؤكدة.. فثمة احتمال لأن تكون تلك الحيوانات البحرية قد فقدت توازنها بسبب تلوث المياه، أو أن تكون مصابة بهبوط فى القلب، نتيجة لسوء التغذية، فهى لم تعد تجد طعامها فى البحر بسهولة.. وكان يومًا مشهودًا.. ثلاثة دلافين مستلقاة على الرمال، بلا حراك، وفى حالة سيئة، وترفض أن ترجع إلى المياه، كان منظرها محزنًا، تلك الحيوانات الثديية التى تألف الإنسان، وتمتلك قدرًا من الذكاء، وتقوم بالألعاب البهلوانية، وتتعابث مع السابحين فى الشواطئ... هل من سبيل لإنقاذها ؟!

ويجب أن أعترف -فخورًا- بأن مشرفينا كانوا أكفاء، وكأنما مارسوا هذه المهمة من قبل، نزلنا من السيارة، وأحطنا بالدلافين المريضة، ثم بدأنا نرطب أجسامها بالماء، ونحاول أن نقدم لها أسماكًا من الأنواع التى تفضلها.. رفضت الطعام فى البداية، ولكن، يبدو أنها لاحظت أن معظم الفريق من الصغار، ويبدو أنها تخيلتنا جئنا نعابثها، و-ربما- أعجبها منظر أغطية الرأس الخضراء، فاستيقظت فيها، رويدًا رويدًا، روح الدعابة، وعاد إليها ميلها إلى اللهو.. ومن جهتنا، فإننا لم نتوقف عن نثر مياه البحر على أجسامها وحمايتها من أشعة الشمس الحارة، ومحاولة إطعامها وزحزحتها فى اتجاه الشاطئ، حريصين على ألا تجرح الرمال جلودها الناعمة..

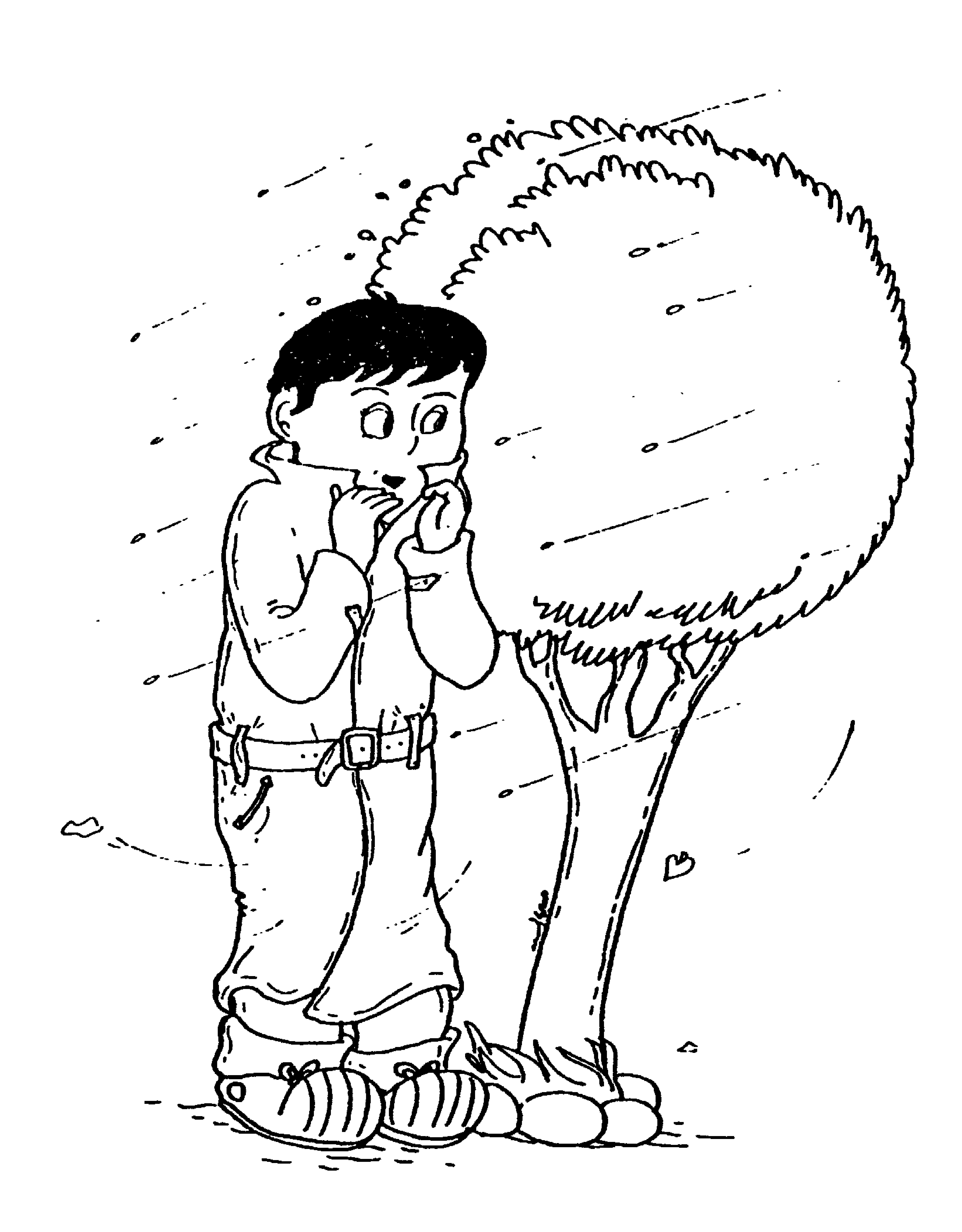
وأخيرًا، قبلت الدلافين الطعام الذى كنا نضعه فى أفواهها بأيدينا، وبدأت تنتعش، بل إن واحدًا منها أصدر بعض تلك الأصوات الدلفينية المبهجة، كأنما يشكرنا ! وصفق كل من كان يتابع عملنا حين طفت

الدلافين الثلاثة على بعد أمتار قليلة من الشاطئ، ثم أخذت تؤدى بعض القفزات فى الماء قبل أن تبتعد فى المياه العميقة..

وبعد نجاح تلك العملية، التى صور التلفاز جانبًا منها وعرضه فى مساء نفس اليوم، استقبل فريقنا الأخضر أعدادًا كبيرة من الأعضاء الجدد.. بل، لقد تعددت الفرق الخضراء فى مدينتنا، وهى تحمل أسماء مختلفة، ولكنها -كلها- لا تخلو من لون أخضر.

ثانيًا :

نماذج من الشعر المعاصر



أشجار الشارع أُخواتي

أشْجارُ الشَّارع أخَواتي
تَبْسُمُ في الطُّرُقَاتِ
تَمنَحُنِي اللونَ الأخْضَرْ
وأشمُّ هَواها الأعْطَرْ
أُسْقيها الماءَ الأوْفَرْ
تنمو،
تترعرعُ، تَكْبَرْ
تَصْمُدُ في وجْهِ الريح
إذْ كانَ الرِّيحُ تبعثَرْ
أو جاء ترابٌ مُمْطِرْ
تَحْميني بِسياجٍ مُزْهِرْ
تُعْطيني ممَّا أعطاها اللّهْ
مِنْ ورقٍ..
أو غُصنٍ مُثْمِرْ
أشجارُ الشارِعْ

للشاعر / أحمد فضل شبلول





فوقَ الأرْصِفَـةِ الـمَـلْسَـاءْ
تَتَـوازَى..
تتقـاطعْ..
كعَمَـائـرَ مِنْ نُسُـغٍ ولُحَـاءْ
أرضُ الـشـارعِ شَجْـرَاءْ
فيهـا أشـجارٌ للتَّـزْيـينْ
فيهـا أشـجـارُ الـيَقْـطـينْ

* *

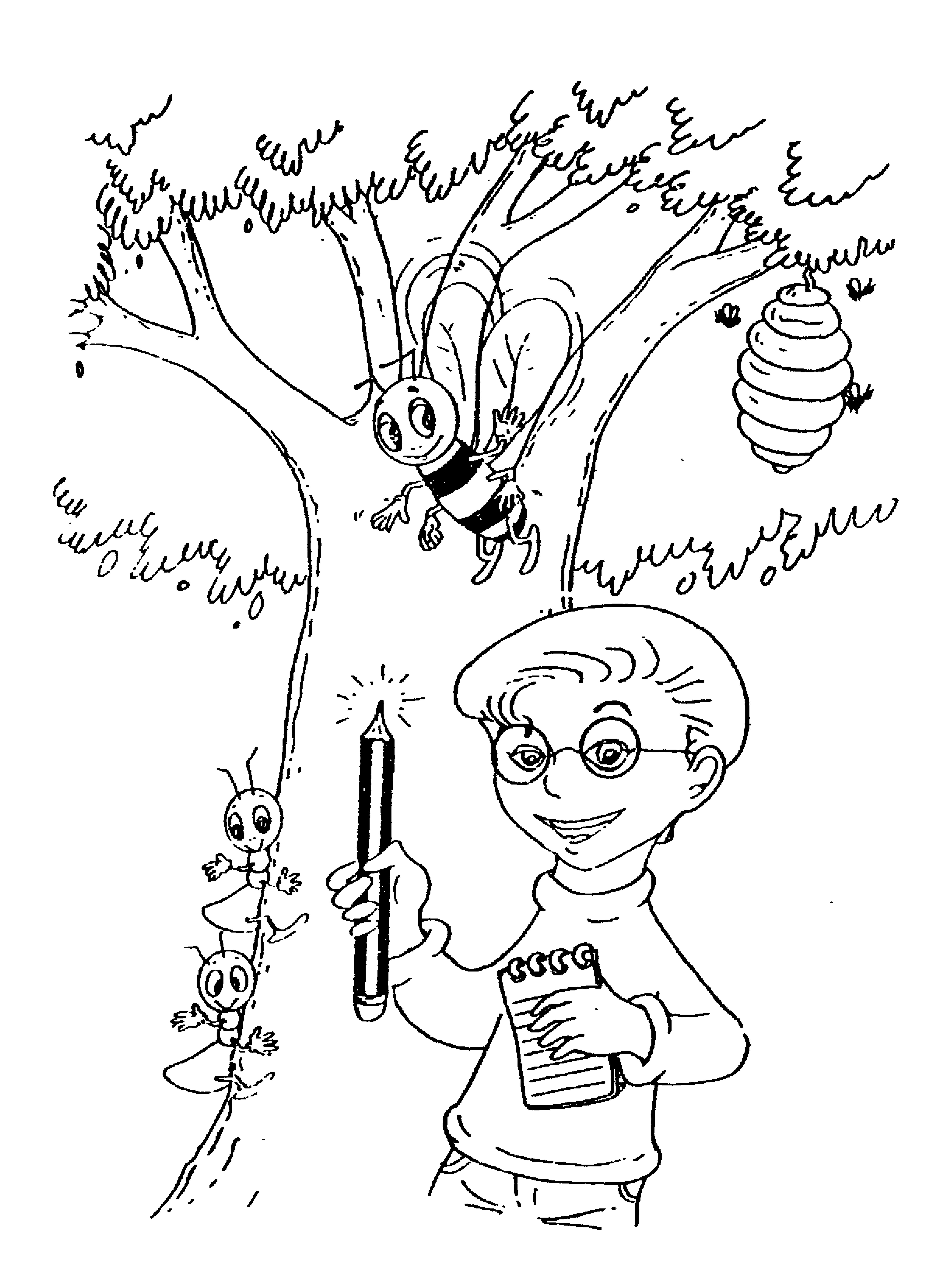
في منزِلنـا..
توجـدُ أشـجـارُ الأَنْـسَـابْ
فيهـا أسـمـاءُ الأحْـبـابْ
هذا عمِّـي..
من أشـجـارِ الـخَـيْرِ
هذا جَـدِّي..
من أشـجـارِ الـدَّهْـرِ
هذا خالـي..
مـن أشْـجـارِ الـفُـلِّ
وأبـونَـا آدمُ في الـجَـنَّـةْ
اللَّـهُ نهـاهُ عَنْ قطفِ الثَّمَـرةْ



فيما حرَّمَ مِنْ شَجَرَةْ
وكذلكَ حواءُ الأمْ
لكنْ أكلا
وَاسْتَمَعَا
لكلامِ الشيطانْ

* *

أشجارُ الشارعِ أَخَواتي
تسْجُدُ للرَحمٰن
تحيا وتموتُ كما الإنسانْ
تَقِفُ الآنَ على بابي
وأراها في صَفَحاتِ كتابي
أشجارٌ تَخْرُجُ مِنْ سَيْنَاءْ
أشجارٌ خضراءُ.. خضراء
ليستْ مَرْدَاءَ،
ولا جَرْدَاءْ
ليستْ من أشجارِ الزَّقُّومْ
فالزقُّومْ
شجرٌ مَلْعُونْ
شجرٌ مِنْ أشْجَارِ النَّارْ



ليسَ من الأخيار

* *

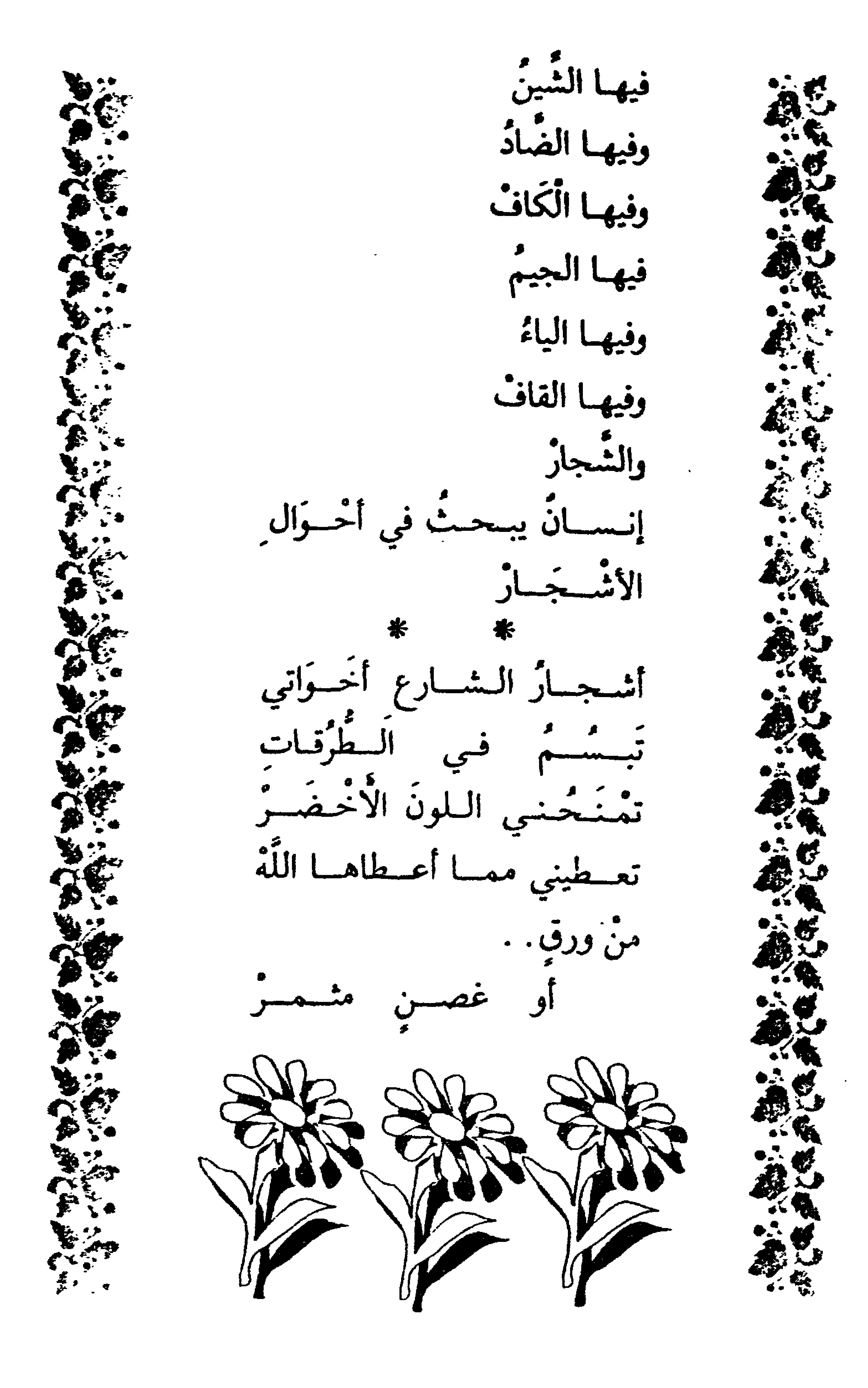
أشْجارُ الشارع أخَواتي
تبسُمُ في الطُّرُقاتِ
في أعْلاها يَسْكُنُ نَحْلٌ
في أسْفَلِها يسْكُنُ نَمْلٌ
منها نأخُذُ أقلامْ
منها نصْنَعُ أحْلامْ
ثُمَّ مبايعةُ الإسْلامْ
ورسولِ اللهِ مُحَمَّدْ
صلَّى اللهُ عليه وسلَّمْ
تحتَ الأغصانِ المُشْتَجِرَةْ
في تلكَ الشَّجَرَةْ

* *

عشرون وسَبْعٌ من كَلِمَاتْ
وردتْ ألفاظُ الشَّجَراتْ
في القرآنْ

* *

تلك حروفٌ شجريَّة
تخْرُجُ مِنْ منْطَبِقِ الْفَمْ



فيها الشّينُ

وفيها الضّادُ

وفيها الْكَافْ

فيها الجيمُ

وفيها الياءُ

وفيها القافْ

والشّجارْ

إنسانٌ يبحثُ في أحْوَالِ

الأشْجَارْ

* *

أشجارُ الشارعِ أخَوَاتي

تَبسُمُ في الطُّرُقاتِ

تمْنَحُني اللونَ الأخْضَرْ

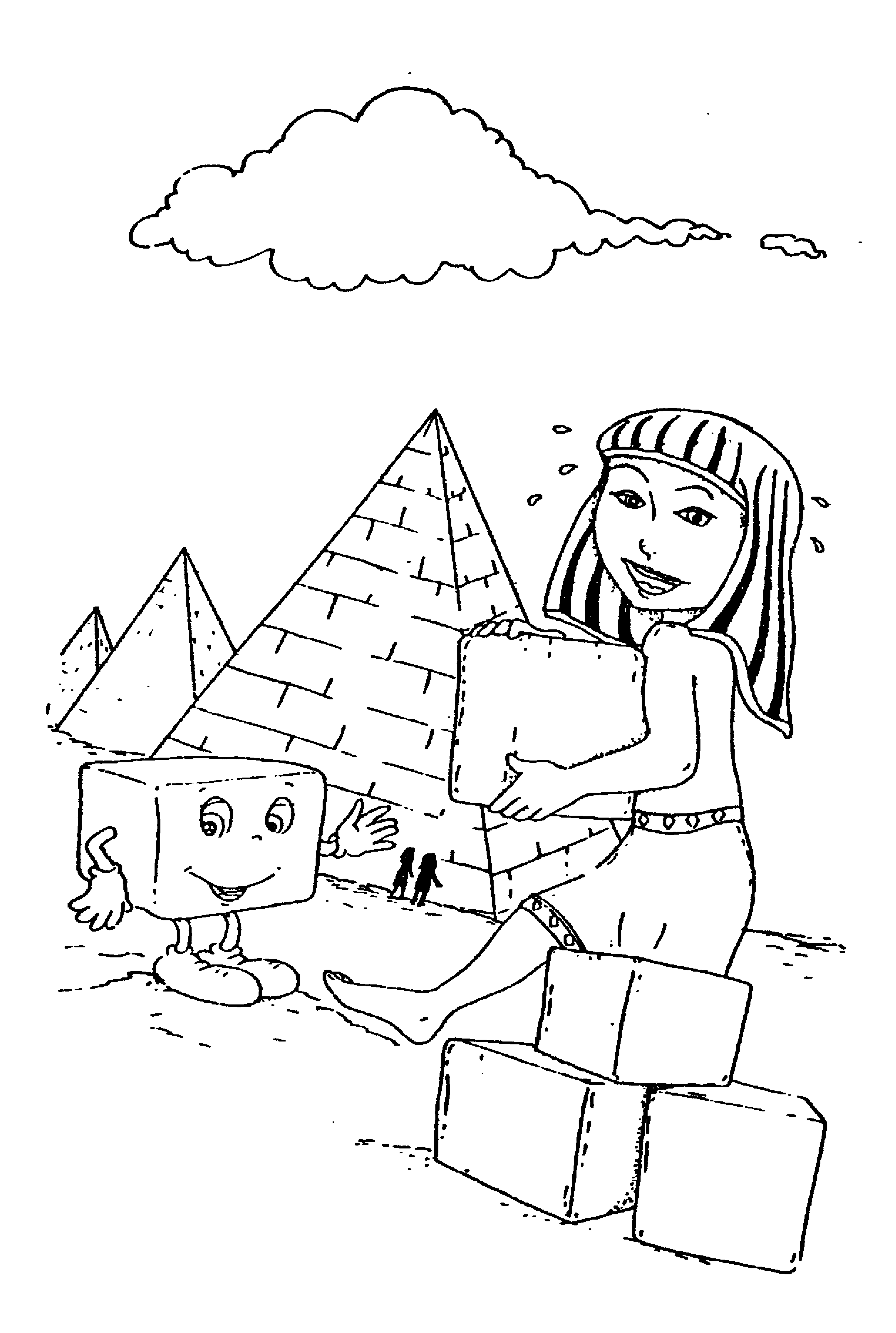
تعطيني مما أعطاها اللّهْ

منْ ورقٍ..

أو غصنٍ مثمرْ

أحجار البيت تناديني

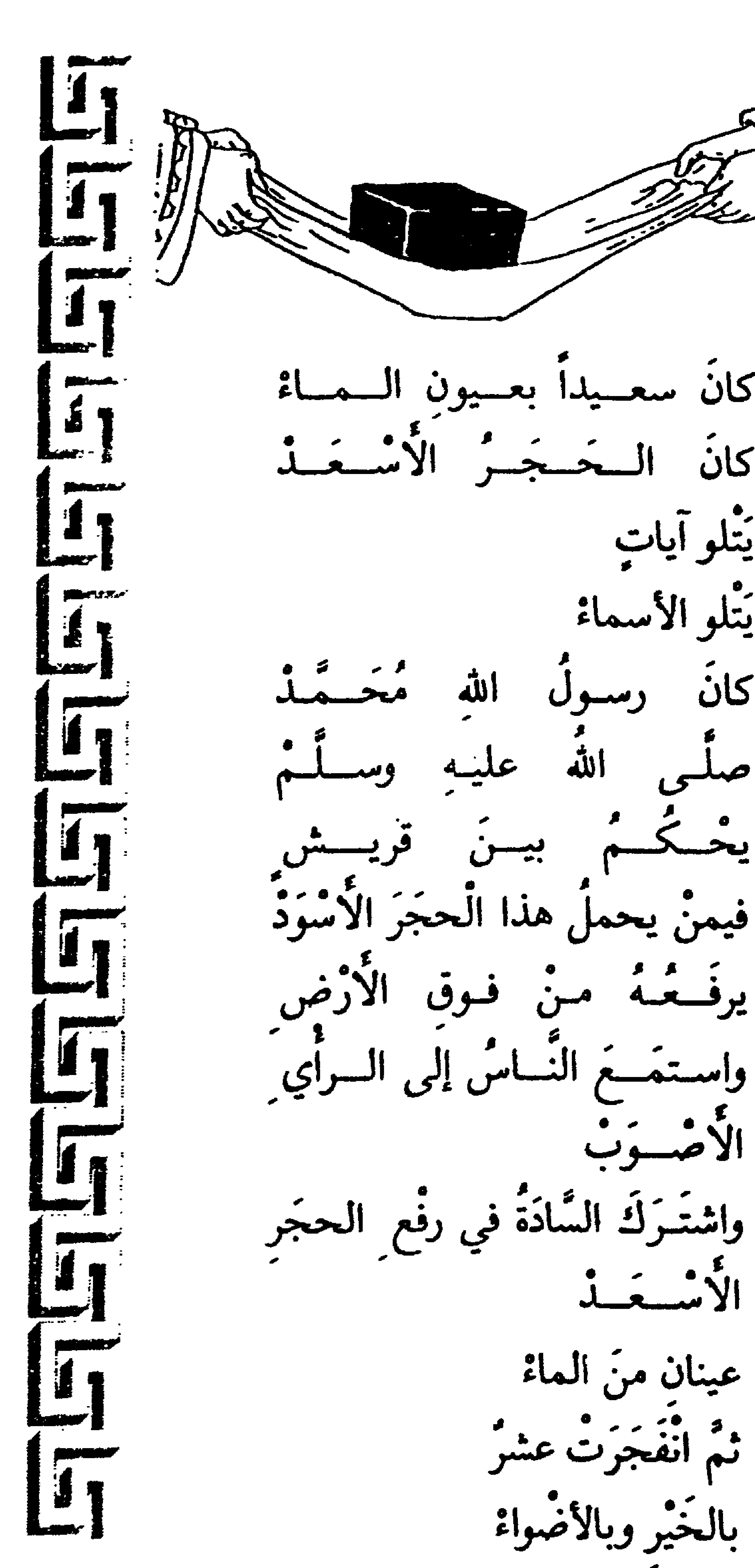
أحـجـارُ الـبَـيْـتِ تُـنَـاديـنـي
كَيْ تَرْوي قصَّتَـهـا لي
كَيْ تَحْـكِـي كلَّ الأَسْـرَارْ
عـن عـائـلَـةِ الأَحْـجَـارْ
في كلِّ مَكَـانْ
في كلِّ زَمَـانْ
أحجـارُ البَيْتِ. . تُنَـاديني الآنْ
قالتْ تلك الأحجارْ:
«. . كنتُ قديمـاً في الأَرْضِ
كرةً تسـبـحُ في الـمـاءْ
مع خطِّ الطـولِ
وخطِّ الْعَـرْضِ
كنتُ أنـا والـمـاءْ
صِـنْـوَيْـنِ حـبـيـبَـيْـنْ
نَـسْـبَـحُ فـي الأكـوانْ
ونسبِّحُ للرحمٰنْ



ونسـافـرُ بين فَضَـاءٍ وفَضَـاءْ
كنت أنا والماءْ
صِنْوَيْنِ حبيبَيْنْ
وافْتَـرَقَ الـمـاءُ عنِ الحَجَـرِ
كفِـرَاقِ الأَرضِ عن الـبَـحْـر
وأتـيـتُ سعـيـداً لأكـونْ
حجـراً في الـبيتِ المَسْكـونْ
بالـحُـبِّ وبـالـدرِّ الـمَكْنـونْ
بالـعـطْفِ وبـالـوُدِّ المَيْمُـونْ
أسمـعُ من يتكلّمُ في المَنْـزِلْ
وأراهُ على الـدَّوْمِ يُبَـسْـمِـلْ
وأشُـمُّ روائـحَ مَنْ في الـبَيْتْ
فأنا حَجَرٌ
لكنّي أشعرُ
وأفكّرْ
سَلْ أحـجـارَ فِلَسْـطينْ
سَلْ أشـجـارَ الـزَّيْتـونْ
سَلْ أطْـفـالَ الـنَّصْـرِ هُنَـاكْ
هُمْ يمـشـونَ على الأَشْـواكْ
سَلْ أحْـجـارَ الأَهْـرَامْ

سَلْ كلَّ الأنْهَارِ،
وكلِّ الأحْلامْ
أحْيانـاً يتـفـجّـرُ منِّي نَهْـرُ
أحْيانـاً يدفَـعُني الْفَـخْـرُ
أتـخـيَّـلُ نَفْسي جَبَـلا
أصْـعَـدُ تـلاًّ.. تَـلاّ
وأصيرُ الـحَـجَـرَ الأكْـبَـرْ
وأصيرُ الحَجَـرَ الأقْوى والأجْمَلْ
أتذكَّرْ
أحْجَارَ السجِّيلْ
في عامِ الفيلْ
أشعـرُ بالـزهْـوِ وبـالـنَّصْـرِ

عشـرون وإحـدى مَـرَّةْ
وردَتْ ألـفـاظُ الأحْـجَـارْ
في القرآنْ
تلكَ النارْ
تُلْقَمُ بالنَّاس
وتُلْقَمُ بالأَحْجَارْ
تَطلُبُ أكثَرْ
تَطْلُبُ أوْفَرْ
ذاتَ صباحٍ . .
كان كليمُ الله الـمُـخْـتَـارْ
موسى . .
يَضْـرِبُ بعَـصَـاهُ الأحْـجَـارْ
فانـفَـجَـرَتْ عَيْـنـانِ منَ الـمـاءْ
ثمَّ انفجَرَتْ عَشْرْ
بالخيرِ وبالأضواءْ
كانَ الحجَـرُ الأسْـوَدُ بالكعبةْ
في هذا الـوقـتِ يُسَـبِّـحُ . .
ويهلِّلُ . .
ويكبِّرُ . .
يبسمُ لي

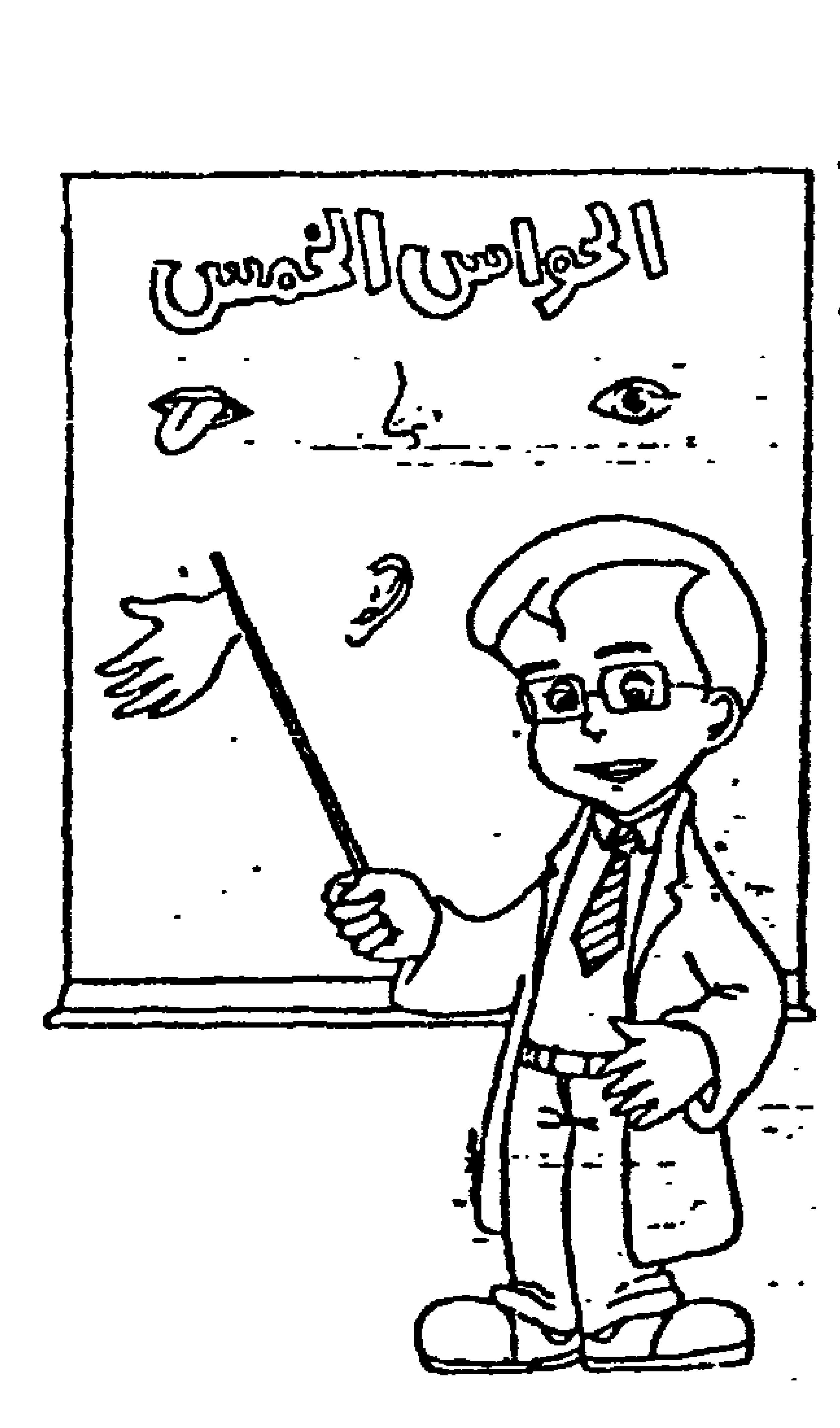


كانَ سعيداً بعيونِ الماءْ
كانَ الحَجَرُ الأَسْعَدْ
يَتْلو آياتٍ
يَتْلو الأسماءْ
كانَ رسولُ اللهِ مُحَمَّدْ
صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمْ
يحْكُمُ بينَ قريش
فيمنْ يحملُ هذا الحجَرَ الأَسْوَدْ
يرفَعُهُ منْ فوقِ الأَرْضِ
واستمَعَ النَّاسُ إلى الرأيِ
الأَصْوَبْ
واشتَرَكَ السَّادَةُ في رفْعِ الحجَرِ
الأَسْعَدْ
عينانِ منَ الماءْ
ثمَّ انْفَجَرَتْ عشرٌ
بالخَيْرِ وبالأضْواءْ

في أيامِ الحَجّ
يُرجَمُ إبليسُ بالأحجار
يُرجَمُ هذا الشيطانْ
ويعودُ الحُجّاجُ..
بمغْفِرةٍ وأمانْ
رجَمُوا إبْليسَ المَلْعُونْ
بحِجارَةِ أرْضِ الإيمانْ
أرض التَّوْحيدِ
وأرضِ الغُفْرَانْ
أحجارُ البيتِ تنامُ الآنْ
هذا حَجَرٌ صَفْوَانْ
هذا حَجَرٌ مِنْ ألْوَانْ
هذا ذَهَبٌ
هذا ياقوتٌ
هذا مَرْجانْ
أحْجارُ البَيْتِ تَنامُ الآنْ
تستَمِعُ إلى شَذْوِ الأغْصَانْ
في الأحلامْ
وتَنامُ على كَتِفِ المنْزلِ
باطْمِئْنَانْ».

الحواسُ الخمس

حواسٌ   خَمْسْ
حَبَانَا   اللهُ   إيَّاها
عرفْنَاها..
هُنَا   في   الجِسْمْ
رأيْنَاها..
هُنا   في   الرَّسْمْ
لَمَسْناها..
شَمَمْناها..
سَمِعْناها..
وذُقْنَاها..



شَكَرْنـا   الله
وخَيْرَ   صلاةْ
أقَمْناها
فهـذا   اللَّمْس
يُسَاعِدُنَا لكَيْ نَعْرفْ
لِكَـيْ   نَفْهَمْ
لِكَـيْ   نَلْمِسْ
لِكَـيْ   نَلْعَبْ
لِكَـيْ   نَذْهَبْ
إلـى   الأشْيَاءْ
إلـى   العَلْياءْ
ونَلْمِسُها
نُحِسُّ بقيمةِ الآلاءْ
وهـذا   السَّمْعْ

يعلمُنا..
ويُخْبِرُنا
يساعِدُنا لِكَيْ نعرف
عن الأرقامِ والأحْرُف
حَبانا الله إيَّاهُ
شَكَرْنا الله
عَبَدْناهُ
يَجِيءُ العِلْمُ بالأرْقامْ
يَجِيءُ السَّمْعُ بالأفْهامْ
وتَبْدَأُ خُطوةُ الأيّامْ
فنسْمَعُها..
ونَلْمِسُها..
ونَحْرُسُها..
مع الأحلامْ

* *

سَجَدْنا في جوامِعِنا
لِخالِقِ سَمْعِ كلِّ النَّاسْ
رَكَعْنا في مساجِدِنا
لباسِطِ لمْسِنَا الحسَّاسْ
حواسٌّ خمسْ

حَبَانا الله إيّاها
عَرَفْناها هُنا في الجِسْمْ
رأيناها هُنا في الرَّسْمْ
شمَمْناها..
وهذا الأَنْفْ
يميِّزُ صِنْفْ
عن الآخَرْ
يَشُمُّ الوَرْدَ والعَرْعَرْ
يشمُّ الفُلَّ والزَّعْتَرْ
ويَعْرِفُ كيفَ يستَنْشِقْ

هواءَ الـفـجْـرِ في وطـنـي

فيا وَطَني . . .

شَمَـمْـتُ هواءَكَ الـنَّـادي

شَمَـمْـتُ رَوائـحَ الـوادي

رَأيْتُ هواكَ بالـعَـيْنِ

لَمَـسْـتُ ضِياكَ في الكَـوْنِ

سمعتُ الشَّـدْوَ في الأَغْصَانْ

سمِـعْـتُ تِلاوَةَ الـقُـرْآنْ

وذُقْـتُ حَلاوَةَ الإِيمـانْ

كأنِّـي ذُقْـتُ حَلْوى الْـعِـيدْ

كأنِّـي عُدْتُ كالـمَـوْلـودْ

حواسٌّ خمسْ

حَبَـانـا اللهُ إيَّاهـا

عَرَفْـنـاهـا هُنَـا في الـجِسْمْ

رَأيْنَـاهـا هُنَـا في الـرَّسْـمْ

* *

حواسٌّ خَمْسْ

تُوَلِّـي شَطْرَ أَوْجُـهِـهـا

إلى الكَعْبَةْ

نصلِّي خَمْسْ

وندعو خمس.
فيغْـفِرُ للعـبـادِ الله
وتَـنْـبُضُ في الـوجـوهِ حَياةْ
بعونِ اللّهْ
وأمْرِ اللّهْ
حواسٌ خَمْسْ
رَأيْناها
بعَيْنِ الحُبْ
قرَأناها
بنُورِ القَلْبْ
قَرَأنــا الـصِّـدْقَ والـكُـتُـبَـا
قَرَأنـا الـشِّـعْـرَ والأدَبـا
وعِشْنَـا في رُبـوعِ الـعِلْمْ
رأيْنـاهُ بعَـيْنِ الـحُـلْمْ
نَظَرْنَا في سماواتِ الهَنا والخَيْرْ
وشـاهَـدْنـا بعَـيْنِ الـقَـلْبْ
بُزوغَ الْـفـجْـرِ فَوْقَ الـبَـرِّ،
فوقَ البحرْ
وشـاهَـدْنـا بعينِ الـفـخْـرْ
طُلوعَ الشمْسِ فوقَ نهارِنَا السَّاجِدْ

وتلْكَ العَيْنُ تَبْكي
في خشوعِ الراكعِ العابدْ
رأينَا الليلَ يجري
في مَدَارِ الْفُلْكْ
وهذا المُلْكُ
للرحمٰنِ، للماجِدْ
وهذا الكونْ
يراهُ الجامعُ الواجِدْ
ولكنَّ الحواسَّ الخَمْسَ
عاجزةٌ عن الإدْرَاكْ
عن الرُّؤيةْ
عنِ النَّظْرةْ
إلى الأجرامِ والأفْلاكْ
حواسٌ خَمْسْ
عَرَفْناها . .
هُنَا في الجِسْمْ
رَأَيْناها . .
هنا في الرَّسْمْ

ثالثاً :

نماذج من القصة العربية القديمة

(في بيته يؤتى الحكم)

قولهم في بيته يؤتى الحكم، هذا شيء يتمثل به العرب على المزح ولا أصل له. زعموا أن الأرنب وجدت تمرة فاختلسها الثعلب منها فأكلها، فانطلقت به إلى الضب يختصمان إليه. فقالت الأرنب : يا أبا الحسيل. فقال : سمعًا دعوت. قالت : أتيناك لنحتكم إليك فاخرج إلينا. قال : في بيته يؤتى الحكم. قالت : إني وجدت تمرة. قال : حلوة فكليها. قالت : فاختلسها الثعلب مني فأكلها. قال : لنفسه بغى الخير، قالت : فلطمته ! قال : بحقك أخذت. قالت : فلطمني. قال : حر انتصر. قالت : فأقض بيننا. قال : قد حكمت.

الفاخر ٧٦

(الضبع والظبية)

قالوا : رأت الضبع ظبية على حمار فقالت : أردفيني، فقالت : ما أفره حمارك ! ثم سارت يسيرا فقالت : ما أفره حمارنا ! فقالت الظبية : انزلي قبل أن تقولي ما أفره حماري !

الأمثال ٤٧

(الغراب والحمامة)

زعموا أن غرابًا ألف مطبخًا لبعض الملوك، فأخذ من أطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئا. فظنوا أن الغراب أخذه لقلة وفائه ولؤم

جوهره، فطردوه عن مطبخهم. وقالوا : ما نرجو من هذا الغراب، وهو من الطيور التى تعاف ويتطير منها. فأفشى ذلك الغراب أمره إلى حمامة قد كان بينهما معرفة، وفزع إلى رأيها. وأخبرها ما كان فيه من نعيم المآكل والمشرب، فقالت له الحمامة : انطلق بى حتى ترينى هذا المطبخ، فانطلق حتى أتى سطح المطبخ. فقالت الحمامة : إنى أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل، فاحفر لى بمنقارك قدر ما أدخل فيه فإن منقارى يضعف عن ذلك. فحفر الغراب فى سقف البيت بمنقاره، حتى دخلت فيه الحمامة، وتوسطت فى البيت، فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها. فجعل لها خازن المطبخ موضعًا تأوى إليه فلبثت فى ذلك البيت قريرة العين. فناداها الغراب : ما هكذا قدرت فيك ! فقالت الحمامة : لو وفيت لك حلّ بى غدرك، وإن القوم عرفوا وفائى وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك !

المحاسن والأضداد ١٦٧

(صائد وعصفور)

كان صائد يصيد العصافير فى يوم بارد فكان يذبحها والدموع تسيل فقال عصفور لصاحبه : لا بأس عليك من الرجل، أما تراه يبكى ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموعه، بل إلى ما تصنع يداه.

الحيوان ٥ : ٢٣٨

(الطيور والثعلب)

قالوا : أولم طائر وليمة، فأرسل يدعو بعض إخوانه، فغلط بعض رسله، فجاء إلى الثعلب فقال : أخوك يدعوك. قال : السمع والطاعة؛ فلما رجع أخبر الطائر، فاضطربت الطيور وقالوا : أهلكتنا وعرضتنا للحتف، فقالت القنبرة : أنا أصرفه عنكم بحيلة. فمضت، فقالت : أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك : الوليمة يوم الاثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك، مع الكلاب السلوقية، أو مع الكلاب الكردية ؟ فتجرعها الثعلب وقال : أبلغي أخي السلام، وقولي له : أبو سرور يقرئك السلام، ولكن قد تقدم لي نذر منذ دهر بصوم الاثنين والخميس.

البصائر والذخائر ١ : ٢٨٢

(القنبرة والصياد)

قال الشعبي : أخبرت أن رجلاً صاد قنبرة فلما صارت في يده قالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك ! وآكلك. قالت : ما أشفي من مرض ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي. أما واحدة. أعلمك وأنا في يدك ! والثانية : على الشجرة. والثالثة على الجبل. فقال : هات الواحدة. قالت : لا تتلهفن على ما فاتك قال فلما صارت على الشجرة، قال : هات الثانية ! قالت له : لا تصدق بما لا يكون أن يكون، يا شقي لو ذبحتني اخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً. قال : فعض على شفتيه وتلهف.

فلما صارت على الجبل قال لها : هات الثالثة. قالت : أنت نسيت اثنتين فكيف أحدثك بالثالثة. ألم أقل لك لا تتلهفن على ما فاتك، ولا تصدق بما لا يكون أن يكون ؟ أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً. قال : وطارت فذهبت.

الأذكياء : ٤١ - ٢٤٢

(الأسد المريض والذئب والثعلب)

قال الشعبي : مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب. فقال الذئب : أيها الملك، مرضت فعادك السباع إلا الثعلب. قال فإذا حضر فاعلمني، فبلغ ذلك الثعب، فجاء. فقال له الأسد : يا أبا الحصين مرضت فعادتني السباع كلهم و لم تعدني أنت. قال : بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء له. قال الأسد : فأى شيء أصبت ؟ قال : قالوا لي خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج. فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب، فانسل الثعلب وخرج فقعد على الطريق، فمر به الذئب والدم يسيل عليه، فقال له الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر ! إذا قعدت بعد هذا عند سلطان، فانظر ما يخرج من رأسك !

المستطرف ٢ : ١١٩

(الفأرة والقطة)

قال أبو سليمان..... (المثل) يدك عنى وأنا فى عافية. وأصل هذا فيما يتكلم به الناس على ألسنة البهائم : أن فأرة سقطت من السقف،

فظفرت الهرة بحملها تقول : بسم الله عليك ! فقالت الفأرة : يدك عنّى ! وأنا فى عافية !

الأذكياء ٢٤٥

(الأسد والذئب والثعلب يخرجون للصيد)

قال : حدثنا المعافى بن زكريا، قال : زعموا أن أسدًا وذئبًا وثعلبًا اصطحبوا فخرجوا يتصيدون، فصادوا حمارًا وظبيًا وأرنبًا. فقال الأسد للذئب : أقسم بيننا صيدنا، قال الأمر أبين من ذلك : الحمار لك، والأرنب لأبى معاوية والظبى لى ! قال : فخبطه الأسد فأندر رأسه. ثم أقبل على الثعلب وقال : قاتله الله ما أجهله بالقسمة. ثم قال : هات أنت. قال الثعلب : يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك. الحمار لغدائك، والظبى لعشائك، وتخلل الأرنب فيما بين ذلك ! قال الأسد : ويحك ما أقضاك من علّمك هذه القضية ؟ قال : رأس الذئب النادر بين عينىّ.

الأذكياء ٢٤٣

(الفخ والعصفور)

حدثنا عثمان بن عطاء أن أبيه قال : نصب رجل من بنى إسرائيل فخًا من ناحية الطريق، فجاء عصفور فسقط ثم انطلق إلى الفخ. فقال للفخ : مالى أراك متباعدًا عن الطريق ؟ قال : أعتزل شرور الناس، قال فما لى أراك ناحل الجسم ؟ قال : أنحلتنى العبادة ! قال : فما هذا الحبل على

عطفيك ؟ قال : المسوح والشعر، لبس الرهبان والزهاد. قال : فما هذه العصا فى يدك ؟ قال : أتوكأ عليها. قال : فما هذه الحبة فى فيك ؟ قال: رصدتها لابن السبيل ومحتاج. قال : فأنا ابن السبيل ومحتاج. قال : فدونك ! قال : فوضع العصفور رأسه فى الفخ فأخذ بعنقه. فقال العصفور : سيق سيق !! ثم قال : لا غرّنى بعدك قارىء مرائى مرة أخرى.

الأذكياء ص ٢٤٢

(مثل فأرة البيت وفأرة الصحراء)

قيل إن فأرة البيت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها : ما تصنعين هنا ؟ اذهبى معى إلى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب. فذهبت معها وإذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد : لبنة تحتها شحمة. فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها. فهربت الفأرة البرية وهزّت رأسها متعجبة وقالت : أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدًا. إن العافية والفقر أحب إلىّ من غنى يكون فيه الموت. ثم فرّت إلى البرية

المستطرف ٢ : ٣٦

(الأفعى والطائر)

زعموا أن وصعًا -طائرًا أصغر من العصفور- كان يجاور حية رقشاء، فكان ذلك الوصع إذا فرّخ سرت الحيّة لأكل فراخه فى الظلام،

فى عام بعد عام. والله يجازى على الجيف والأنعام، فقضى -سبحانه- بتلك الحية أن كفّت فى آخر عمرها، فلزمت الرجاء (الجُحر) لا تذعر النائى ولا الجار. فقال أحباؤه : ألا تأتى الظالمة مظهرًا للشمات ؟ قال : لو كنت، وهى المبصرة أقدر على ضير، لكنت إليها وشيك السير، فأما إذ كفتنيها إلا قضية فإن عينى عنها مغضية.

رسالة الصاهل والشاحج ٤٨ - ٤٩

(الأسد الأعمى المتكبر)

عمى أسد من عوام الأسد، فاضرّ ذلك به، فقيل له : لو جئت ملك الأسد فسألته أن يصلك لكان ذلك رأيًا لك. فذهب إليه وسرد قصته عليه، فقال لخازنه : يجرى عليه فى كل يوم عضوًا مؤربًا (مقطوعًا). فقال الأسد الذى التمس الجراية : أصلح الله الملك، إنى كنت أصطاد الوعل أو البقرة الأهلية فلا أكاد أدرك بها الشبع، فأين منى هذا العضو يقع؟ فقال الملك من اتكل على كسب غيره وجب أن يقتنع بقليل خيره. قال الأسد : صدق الملك، ولا حاجة لى بهذا العضو. فقال الملك : فما تصنع ؟ قال : احتزى بثبت السحاب، ولا افتقر إلى الملك والأصحاب.

رسالة الصاهل والشاحج ٤٩

رابعًا :

من مصادر

أدب الأطفال في التراث العربي

١. ألف ليلة وليلة، دار التوفيق، بيروت ١٩٧٨.

٢. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان على بن محمد بن العباس التوحيدى (توفى ٣٨٠هـ) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت.

٣. الأمثال، مؤرج بن عمر السدوسى (توفى ١٩٨هـ)، تحقيق أحمد الضبيب الرياض، ١٩٧٠م.

٤. أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبى (توفى ١٦٨هـ) نشره د. إحسان عباس، دار الرائد العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٥. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدى، تحقيق إبراهيم الكيلانى، دمشق ١٩٦٤م.

٦. تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. محمد بن عبد الله بن محمد بن بطوطة (توفى ٧٠٣هـ) المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٨٣م.

٧. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى (توفى ٤٤٠ هـ)، عالم الكتب، بيروت ١٩٧٧م.

٨. التمثيل والمحاضرة، أبو منصور عبد الملك بن محمد، أبو إسماعيل الثعالبى (توفى ٤٢٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

٩. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميرى (توفى ٨٠٨ هـ)، مطبعة حجازى، القاهرة ١٣٦٧هـ.

١٠. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفى ٢٥٠ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة البابى الحلبى، القاهرة ١٩٣٨ - ١٩٤٥م.

١١. الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة، حمزة بن الحسن الأصفهانى (توفى ٣٥١هـ)، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

١٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشرى (توفى ٥٣٨هـ)، تحقيق د. سليم النعيمى، مطبعة العانى، بغداد ١٩٧٦م.

١٣. رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعرى (توفى ٤٤٩هـ)، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

١٤. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (توفى ٦٨٢هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨م.

١٥. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه (توفى ٣٢٨هـ)، تحقيق د. أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٦. عيون الأخبار، محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (توفى ٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربى، بيروت د. ت.

١٧. الفاخر، المفضل بن سلمة بن عاصم (توفى ٢٩٠هـ)، تحقيق عبد العليم الطحاوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م.

١٨. كتاب أخبار الحمقى والمغفلين، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى (توفى ٥٩٧هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت. د. ت.

١٩. كتاب الأذكياء، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، دار الآفاق الجديدة، بيروت. د.ت.

٢٠. كليلة ودمنة، ترجمة عبد الله بن المقفع (توفى ١٤٢هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠م.

٢١. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميدانى (توفى ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

٢٢. المحاسن والأضداد، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزى عطوى، بيروت ١٩٦٩م.

٢٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، على بن الحسين المسعودى (توفى ٣٤٦هـ)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٤٨م.

٢٤. المستطرف فى كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهى (توفى ٨٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٧م.

٢٥.المستقصى فى أمثال العرب، محمود بن عمر الزمخشرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧م.

٢٦.الموشى، أو الظرف والظرفاء، محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (توفى ٣٢٥ هـ)، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

٢٧.نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، شمس الدين محمد بن أبى طالب الأنصارى (توفى ٧٢٧هـ)، مطبعة ميون، لايبزك، ١٩٢٣، صورة بالأوفسيت، د.ت.

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة



مطبعة الفاروق
٢٠ش النصر - المعادى الجديدة
ت : ٥١٦٨٣٩١ - ٠١٠٥٠١٥٠١٥